النور المبين
في تفسير سورة يس

تأليف

زمزم القطان

إشراف

أبو المكارم الشيخ حسين المرطوع

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

لجنة النشر والتوزيع
جامع الإمام الصادق عليه السلام
دولة الكويت

النور المبين

في تفسير سورة يس

تأليف

زمزم القطان

إشراف

أبو المكارم الشيخ حسين المطوع

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م

لجنة النشر والتوزيع

جامع الإمام الصادق عليه السلام

دولة الكويت

الأوحد

موقع الأوحد

Awhad.com

إلهي كن أنت المُعين لنا كي نعلم ونرى أنّ القدرة هي قدرتك ...

العزَّة والعلم لك، وكل شيء عند كل واحد من الناس إنما هو من عطائك.

إهداء

إلى والديَّ الكرام ...
إلى مَن وهباني الحياة ...
وكانا رمزاً للحب والحنان ...
إلى مَن ربّياني على الخُـلُق الكريم ...
وسعيا في تربيتي وحناني ...
وغذياني حُـبَّ الولاية ...
إلى أجمل زَهرتين في الدنيا ...
أدامكما اللّه لي ولأُسرتنا ...
إلى أُستاذي الفاضل ...
آية اللّه المعظَّم ميرزا عبدالرسول الإحقاقي.
إلى مَن علَّمني الحروف حرفاً حرفا
إلى مَن سقاني من ينبوع العلم
إلى مشعل معرفتي ونور فكري.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يٰسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ
فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ
سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ
لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ
وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ
أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ
جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا
بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ

مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟
رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ
﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ
قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ
يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا
وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ
عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدْخُلِ
ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ
ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ
خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا
كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ
ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا

مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا
حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا
عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم
مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ
ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ
سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا
ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ
﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا
رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ
أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ
ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا
رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ

ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا
ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً
تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ
أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ
إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا
مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا
صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا
تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾
إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى
ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا
يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا
ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟
ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ
مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ
﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ

أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ
لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾
وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟
مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ
أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا
ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ
أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا
يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾
وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا
يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ
قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ
أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ
يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ

تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ
أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ
أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

بسم اللّه الرحمن الرحيم

المقدّمة

جاء في الحديث الشريف المروي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): «إنّ لكلّ شيء قلباً وإن قلب القرآن سورة يس».[1]

إننا نجد أن القلب يُعتبر المركز لجميع أعضاء الجسم، ومنه تدار مملكة الجسد، فبخفَقانه يبقى الجسم حيّاً ويواصل عيشه، وبتوقّفه يموت.

بهذا التشبيه وُصفت سورة «يس» بأنها قلب القرآن، وهذا يوضّح مدى أهمية هذه السورة المباركة مع العلم أن القرآن كلّه معجزة ووحي من اللّه تعالى، إلاّ أن سورة «يس» خاصة تتمتع بمزايا أكثر وتظهر بوضوح من خلال الرجوع إلى الروايات الواردة في فضل هذه السورة وفضل قراءتها والعمل بها.

محمد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) هو قلب عالم الوجود، إذ «لولاك لما خلقت الأفلاك» فالموجودات كلّها إنّما وُجدت ببركة وجود النبي محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم).

فالسورة التي تكون خاصة بالنبي محمد (صلى اللّه عليه وآله

---

(١) تفسير البرهان ج٤ ص٢ ح١، الجامع ص ٥٤ وتفسير مجمع البيان ج٨ ص٤١٣ وثواب الأعمال ص ١٣٨.

وسلم) تصبح بالتالي قلباً للقرآن كلّه، طالما أن محمداً نفسه هو قلب عالَم الوجود، واللّه عزّوجل يخاطبه ابتداءً من الآية الأُولى ويقسم بالقرآن الحكيم: إنّه لمن المرسلين.

لقد ذُكرت في هذه السورة أقسام التوحيد وما يتعلّق بالمعاد والبرهان عليه، وخصوصيّاته وما يرتبط بالنبوّة والرسالة والصراط المستقيم وسبيل السعادة.

وسوف نقوم ـ بحول اللّه وعونه ـ بتفسير مختصر لهذه السورة المباركة ونسأل اللّه سبحانه أن يمنَّ علينا بنورانيّة القرآن، بنور نحمله معنا إلى القبر، وأن يتقبَّل هذا الجُهد المتواضع بقبولٍ حَسَن إنه سميع مجيب.

لماذا سُمّيت قلبَ القرآن؟

لماذا سُمّيتْ قلب القرآن؟

الجواب: نحن لا نعلم السرّ الحقيقي لذلك، غايةٌ مافي الأمر أن هناك بعض الاحتمالات والأقوال التي قد تكشف عن الواقع.

منها: إنّ هذه السورة ترتبط بالقلب، وقد جاء في الحديث الشريف: «اقرأوا يس على موتاكم».

ولعلّ السبب ان الإنسان ـ في ساعة الوفاة ـ يكون ضعيف القوة وكذا الأعضاء، لكن القلب يكون مقبلاً على اللّه تعالى بكليته فإذا قرىء عليه هذه السورة الكريمة يزداد قلبه ويشتد تصديقه بالأُصول فيزداد إشراق قلبه بنور الإيمان وتقوى بصيرته بلوامع العرفان.

وقيل: سمّيت قلب القرآن لأن هذه السورة ليس فيها إلّا تقرير الأُصول الثلاثة: التوحيد والنبوَّة والمعاد، وهو الذي يتعلّق بالقلب والجنان.

وأما الذي يتعلّق باللسان والأركان فقد جاء الحديث عنها في غير

هذه السورة، فلما كان فيها أعمال القلب لا غير سميت قلب القرآن.

في حديث عن أميرالمؤمنين (عليه أفضل الصلاة والسلام) حول القرآن قال: «وتعلّموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقّهوا فيه فإنه ربيع القلوب»[1] ويقصد بالقلب هنا الروح والعقل والعواطف الإنسانية.

ولو دقّقنا في هذا الحديث لرأينا عظمة محتوى هذه السورة (يس) التي توقظ من الغفلة وتبعث في النفس الإيمان وتحرِّك روح المسؤلية وتدعو إلى التقوى، فهي تتحدث عن التوحيد والمعاد والوحي والقرآن والإنذار والبشارة، بحيث تشكل مجموعها نسخة الشفاء ومجموعة موقظة من الغفلة.

---

(١) البحار ج٢ ص٣٦

محتوى السورة

يلاحظ في هذه السورة أربعة أقسام رئيسية:

١) تتحدث السورة ـ أولاً ـ عن رسالة النبي الأكرم (صلى اللّه عليه وآله وسلم) والقرآن المجيد، والهدف من نزول ذلك الكتاب السّماوي العظيم وعن المؤمنين به.

٢) وتتحدّث السورة عن رسالة ثلاثة من أنبياء اللّه وكيف كانت دعوتهم للتوحيد وجهادهم المتواصل المرير ضد الشرك.

٣) وتتحدّث بعض آياتها عن المسائل التوحيدية الملفتة للنظر والدالّة على عظمة اللّه في عالَم الوجود.

٤) وتتحدّث عن المواضيع المرتبطة بالمعاد والأدلّة المختلفة عليه، وكيفية الحشر والنشر، والسؤال والجواب في يوم القيامة ونهاية الدنيا، ثم الجنّة والنار.

فضائل سورة يس
وآثارها في النشاتين

فيما يلي نذكر في هذا الفصل بعض الأحاديث الشريفة المرويَّة في فضل هذه السورة المباركة:

١ ـ روي عن الإمام أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال: إنّ لكل شيء قلباً وإنّ قلب القرآن يس، ومن قرأها قبل أن ينام أو في نهاره قبل أن يُمسي كان في نهاره من المحفوظين والمرزوقين حتى يمسي، ومن قرأها في ليله قبل أن ينام وكَّل الله به ألف ملَك يحفظونه من شرّ كلّ شيطان رجيم ومن كل آفة، وإنْ مات في يومه أدخله الله الجنّة وحضَر غسله ثلاثون ألف ملَك كلّهم يستغفرون له ويشيِّعونه إلى قبره بالإستغفار، فإذا دخل في لحده كانوا في جوف قبره يعبدون الله وثواب عبادتهم له، وفُسح له في قبره مدّ بصره، وأومن من ضغطة القبر، ولم يزل له في قبره نور ساطع إلى عنان السماء إلى أن يخرجه الله من

قبره، فإذا أخرجه لم تزل ملائكة اللّه يشيّعونه ويحدّثونه ويضحكون في وجهه ويبشّرونه بكلّ خير حتّى يجوزونه على الصراط والميزان ويوقفونه من اللّه موقفاً لايكون عند اللّه خَلق اقرب منه إلاّ ملائكة اللّه المقرّبون وأنبياؤه المرسَلون، وهو مع النبيِّين واقف بين يدي اللّه لايحزن مع من يحزن، ولا يهتمّ مع من يهتمّ ولا يجزع مع من يجزع، ثمّ يقول له الربُّ تبارك وتعالى: إشفع عبدي أُشفِّعك في جميع ماتشفع، وسلني أُعطك عبدي جميعَ ماتسأل، فيسأل فيُعطىٰ، ويشفع فيُشفَّع ولا يُحاسَب ولا يُوقَف مع من يوقف، ولا يذل مع من يُذَل، ولا يكتب بخطيئته ولا بشيء من سوء عمله، ويُعطىٰ كتاباً منشوراً حتى يهبط من عند اللّه، فيقول الناس باجمعهم: سبحان اللّه ماكان لهذا العبد من خطيئة واحدة، ويكون من رفقاء محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم).[1]

٢ ـ وبإسناده عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: مَن قرأ «يس» في عُمره مرَّة واحدة كتَبَ اللّه له بكلّ خَلق في الدنيا وبكلّ خَلق في الآخرة وفي السماء بكلّ واحد ألف ألف حسنة ومحا عنه مثل ذلك، ولم يصبه فقر ولا غرم[2] ولا هدم ولا نَصَب ولا جنون ولا جذام ولا وسواس ولا داء يضرُّه، وخفَّف اللّه عنه سكرات الموت وأهواله، ووَلي قبض روحه وكان ممّن يضمن اللّه له السعة في معيشته والفرح عند لقائه، والرضا بالثواب في آخرته، وقال اللّه لملائكته أجمعين من في المساوات ومن في الأرض: قد رضيت عن فلان

---

(١) كتاب ثواب الأعمال للصدوق ص ١٤٠.

(٢) الغُرم: الدَّين.

فاستغفروا له.[1]

٣ ـ وروىٰ أُبيٌّ بن كعب عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) انه قال: من قرأ سورة «يس» يريد بها اللّه عزّوجل غفر اللّه له وأُعطي من الأجر كأنما قرأ القرآن اثنتي عشرة مرَّة. وأيّما مريض قُرأ عنده سورة «يس» نزل عليه بعدد كلّ حرف منها عشرة أملاك، يقومون بين يديه صفوفاً ويستغفرون له ويشهدون قبضه ويتبعون جنازته ويصلُّون عليه ويشهدون دفنه، وأيّما مريض قراها وهو في سكرات الموت أو قُرأت عنده جاءه رضوان خازن الجنان بشربة من شراب الجنّة، فسقاه إيّاه وهو على فراشه، فيشرب فيموت ريّان، ويُبعث ريّان، ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنّة وهو ريّان.[2]

٤ ـ وروي عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) انه قال: سورة يس تُدعىٰ في التوراة: المُعِمَّة، قيل: وما المعِمَّة؟

قال: تَعمُّ صاحبَها خيرَ الدنيا والآخرة، وتكابد عنه بلوى الدنيا وترفع عنه أهاويل الآخرة، وتُدعىٰ: المُدافِعة القاضية، تدفع عن صاحبها كلَّ شرّ وتقضي له كلَّ حاجة، ومن قراها عَدلت له عشرين حجَّة، ومن سمعها عدلت له ألف دينار في سبيل اللّه، ومن كتبها ثمّ شربها أدخلت جوفه ألف دواء وألف نور وألف يقين وألف بركة وألف رحمة، ونزعت منه كلّ داء وغلَّة.[3]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٦٤٦.

(٣) المصدر السابق.

٥ ـ وروىٰ أنس بن مالك عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أنه قال: «إنّ لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس». [١]

٦ ـ وعنه عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أنه قال: مَن دخل المقابر فقرأ سورة يس خفَّف اللّه عنهم يومئذ، وكان له بعدد من فيها حسنات. [٢]

٧ ـ وروى الأصبغ بن نباتة عن الإمام علي أميرالمؤمنين (عليه السلام) أنه قال: والذي بعث محمداً بالحق وأكرم أهلَبيته ما من شيء يطلبونه من حِرز ـ مِن حَرق أو غَرق أو سَرق أو إفلات دابّة من صاحبها أو ضالّة أو آبق ـ إلّا وهو في القرآن، فمَن أراد ذلك فليسألني عنه.

قال: فقام إليه رجل فقال: يا أميرالمؤمنين أخبرني عن الضّالّة؟

فقال: إقرأ يس في ركعتين وقل: «يا هادي الضّالّة رد عليّ ضالّتي» ففَعل فردَّ اللّه عليه ضالته. [٣]

٨ ـ وروي عن ابن عباسَ قال: قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم): «من قرأ يس والصافات يوم الجمعة ثم سأل اللّه أعطاه سؤله». [٤]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) اصول الكافي ج٢ ص ٦٢٤.

(٤) الدر المنثور للسيوطي ج٥ ص ٢٧٠.

الإستعاذة من الشيطان الرجيم

الإستعاذة هي ما قد أمر اللّه به عباده عند قراءتهم القرآن، فقال جلّ ذكره:

﴿فإذا قرأتَ القرآن فاستعذ باللّه من الشيطان الرجيم، إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكّلون، إنّما سلطانه على الذين يتولّونه والذين هم به مشركون﴾.[1]

وقال تعالى:

﴿وإمّا ينزغنّك من الشيطان نزغ فاستعذ باللّه إنه سميع عليم﴾.[2]

فمن تأدّب بآداب اللّه عزّوجل أدّىٰ به إلى الفلاح الدائم، ومن استوصىٰ بوصيّة اللّه كان له خير الدارين.

---

(١) سورة النحل، الآية ٩٨ ـ ١٠٠.

(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٠٠.

الإستعاذة قبل قراءة القرآن مستحبّة وليست بواجبة، وهذه الإستعاذة التي ندب اللّه إليها لا تنحصر بقول: (أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم) بل إن اطلاقها يشمل الثقة باللّه، والتوكّل عليه، والخوف منه، وإن لم يقترن باللفظ والقول. فمن اقدم في المهمات معتقداً أن من ورائه قوّة تمدّه وتعينه على العمل الصالح كان مستعيذاً باللّه، ومن مالت نفسه إلى فعل الحرام فصدَّها طاعةً للّه كان مستعيذاً باللّه حقاً وواقعاً من الشيطان الرجيم.

فكلمة: «أعوذ» أي: أعتصم باللّه عزّوجل والتجيء إليه.[1]

«باللّه» اللّه لفظ الجلالة، مِن أسماء اللّه عزّوجل، بل هو أعظمها وأشهرها.

«من الشيطان» الشيطان مشتق من: شطن أي تمرَّد، وبسبب التمرّد طُرد وبَعُد عن رحمة اللّه، فالشيطان هو الموجود البعيد عن رحمة اللّه عزّوجل.

ويعتقد البعض أن الشيطان هو ذلك الموجود الذي وسوس إلى نبي اللّه آدم (عليه السلام) في حين أن هذه الكلمة هي لفظ عام يطلق على كل موجود مضرّ وشرّير، سواء أكان من النوع الإنساني أم من نوع الجن أم من جنس الحيوان[2] أمّا الشيطان الذي غوى آدم (عليه السلام) ووسوس له، فهو من أشرار الجن ويدعىٰ: إبليس.

---

(١) انظر مجمع البيان ج١ ص ١٨.

(٢) مجمع البحرين للطريحي ج٦ ص ٢٧٢ مادة شطن ومجمع البيان ج ١ ص١٨.

إذن: كلمة الشيطان لا تختص بإبليس، بل تطلق على أشرار الإنس أيضاً، كما في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلنا لكلّ نبيّ عدوّاً شياطين الإنس والجن﴾.[1]

«الرجيم» أي المطرود والملعون[2]، وقد ورد في آيات القرآن الكريم أن جميع شياطين الإنس والجن قد طردوا من رحمة اللّه عزّوجل، وأُبعدوا عن لطفه. ويلعنهم المؤمنون في الدنيا وسيُرجمون في الآخرة بأحجار جهنم.

نحن لم نر الشيطان وجهاً لوجه، ولكن أخبر الوحي عنه فوجب التصديق بذلك، وقد ذكر اللّه سبحانه وتعالى في كتابه العزيز أنّ الشيطان يتصدّى لغواية الناس وصرفهم عن طاعة اللّه وعمل الخير، بناءً على هذا فكلّ ما يحول بين الانسان وبين طاعة اللّه والخير ويُغريه بالمعصية والشر فهو شيطان حسّي أو معنوي.

إن اللّه سبحانه لا يعامل المكلّفين بإرداة الخَلق والتكوين وعلى طريقة (كن فيكون) وإنما يعاملهم بالإرشاد، وإرادة الطلب والتشريع التي يعبَّر عنها بالأمر والنهي.

وقيل: إن إبليس (لعنه اللّه) التقى ذات يوم بالنبي محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فقال له: إن اللّه نعتك بالمرشد الهادي، ووصفني بالمضلِّل الغاوي... وكلٌ من الهداية والغواية في يده وليس في يدك شيء.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٢.

(٢) مجمع البحرين ج٦ ص٦٨ مادة رجم.

فقال الرسول الأعظم (صلى اللّه عليه وآله وسلم): كلا، إن في يدي بيان الباطل والزجر عنه والوعيد عليه، وفي يدك الخداع والنفاق والإغراء الباطل، وفي يد الإنسان القدرة على التمييز والاختيار، فمن أحسن الاختيار فلنفسه ومن أساء فعليها.

وروي انّ اميرالمؤمنين (عليه السلام) قال: إنّ قوله (اعوذ باللّه) أي أمتنع باللّه (السميع) لمقال الأخيار والأشرار، ولكل المسموعات من الإعلان والإسرار (العليم) بأفعال الفجّار والأبرار، وبكل شيء ممّا كان ومايكون ومالايكون انْ لو كان كيف يكون (من الشيطان) هو البعيد من كلّ خير (الرجيم) المرجوم باللعن، المطرود من بقاع الخير.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) أغلقوا أبواب المعصية بالإستعاذة وافتحوا أبواب الطاعة بالتسمية.

وقيل: إنّ الشيطان جاء إلى عيسى (عليه السلام) وقال له: ألا تزعم ان لك مكاناً عليّاً عند اللّه؟ فالق نفسك من شاهق لنرى: هل ينقذك من الهلاك؟

قال السيّد المسيح: إنّ اللّه يمتحن عبده، وليس للعبد أن يمتحن ربَّه.

فالشيطان لا يدعونا لنفسه، بل نحن الذين نفسح له المجال لإغوائنا ولذا يقول سبحانه: ﴿إنّما سلطانه على الذين يتولّونه﴾[1] فالشيطان لايسيطر إلّا بعد أن يميل إليه الشخص ويتبعه ويتولّاه، ولذا يقول القرآن الكريم في آية أخرى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا

---

(١) سورة النحل، الآية ١٠٠.

وعلى ربّهم يتوكّلون﴾.[1]

والمقصود بالسلطان هي القدرة، فقدرته تنهار أمام المؤمن الحق لأنه يعرف الشيطان، فبمجرد مواجته للوسوسة يتذكر ويتوجه قبل الوقوع تحت نفوذه وسيطرته.

---

(١) سورة النحل، الآية ٩٩.

البِسْملة

﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾

البسملة جزء من كل سورة في القرآن الكريم، وفقاً لمذهب أهل البيت (عليهم السلام)، إلاّ سورة التوبة، كما أن هناك سورة وردت فيها البسملة في موضعين وهي سورة النمل ولكنها نُقلت عن لسان سليمان حيث قال: ﴿وإنّه بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾.[1]

أهميَّة البسملة

هذه الكلمة المقدّسة شعار مختص بالمسلمين يستفتحون بها أقوالهم وأعمالهم وتأتي في المرتبة الثانية بعد كلمة الشهادتين.

والبسملة لا ينبغي أن تنحصر في اللفظ والصورة بل لابدّ أن تتعدّى ذلك إلى الإرتباط الواقعي بمعناها، وهذا الإرتباط يخلق الإتجاه

---

(١) سورة النمل، الآية ٣٠.

الصحيح في النفس ويصونها من الإنحراف ويؤدّي حتماً إلى نتيجة مطلوبة مباركة، ولذلك جاء في الحديث النبوي الشريف: «كل أمر ذي بال لم يذكر إسم اللّه فيه فهو أبتر». [1]

فمن الضروري أن يبدأ الإنسان كل عمل يعمله باسم اللّه تعالى وذلك لابتداء السور القرآنية بها.

وعندما سأل عبداللّه بن يحيى علياً (عليه السلام) وقال: يا أمير المؤمنين وما تفسير بسم اللّه الرحمن الرحيم؟

قال: إن العبد إذا أراد أن يقرأ أو يعمل عملاً فيقول: بسم اللّه الرحمن الرحيم فإنه يُبارَك له فيه[2].

مِن موارد استحباب البسملة

وتستحب التسمية في موارد كثيرة نشير إلى بعضها فيما يلي:

١) عند إفتتاح كل أمر عظيم أو صغير، وبعبارة موجزة: بقاء العمل وخلوده يتوقف على إرتباطه باللّه، من هنا كانت الآية الأُولى التي أنزلها اللّه على نبيّه الكريم تحمل أمراً لصاحب الرسالة أن يبدأ مهمّته الكبرى بإسم اللّه: ﴿إقرأ باسم ربّك﴾. [3]

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) ـ في حديث طويل ـ: «ولربما

---

(١) القرآن وفضائله ص ٢١١.

(٢) البحار ج٩٢ ص ٢٤٢ باب ٢٩.

(٣) سورة العلق، الآية ١.

ترك بعض شيعتنا ـ في إفتتاح أمره ـ بسم اللّه الرحمن الرحيم فيمتحنه اللّه عزّوجل بمكروه لينبّهه اللّه على شكر اللّه تبارك وتعالى والثناء عليه ويمحق عنه وصمة تقصيره عند تركه قوله: بسم اللّه الرحمن الرحيم.[1]

٢) عند الركوب في أيّة وسيلة نقليّة، وقد روي انّ نوحاً (عليه السلام) حين ركب السفينة وفي ذلك الطوفان العجيب وكان يمخر عباب الأمواج الهادرة ويواجه الوان الأخطار كان يطلب من اتباعه أن يردّدوا البسملة في حركات السفينة وسكناتها ﴿وقال اركبوا فيها بسم اللّه مجريٰها ومرساها﴾[2]

٣) عند كتابة رسالة أو كتاب، فهذا سليمان (عليه السلام) يبدأ رسالته إلى ملكة سبأ بالبسملة: ﴿إنّه من سليمان وإنه بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾[3]،

إنطلاقاً من هذا المبدأ تبدأ كل سور القرآن بالبسملة كي يتحقّق هدفها الأصلي المتمثّل بهداية البشرية نحو السعادة.

٤) التسمية عند ذبح الحيوان: قال تعالى ﴿فكلوا ممّا ذُكر اسم اللّه عليه إن كنتم بآياته مؤمنين﴾[4] وهذا شرط في حليّة الذبيحة.

---

(١) تفسير نور الثقلين ج١ ص٧ ح٢٠، وتجد تمام الحديث في البحار ج٩٢ ص٢٣٢.

(٢) سورة هود، الآية ٤١.

(٣) سورة النمل، الآية ٣٠.

(٤) سورة الأنعام، الآية ١١٨.

وقد نهى سبحانه عن الأكل ممّا لم يذكر اسم الله عليه فقال سبحانه: ﴿ولا تأكلوا ممّا لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم﴾.[1]

٥ ـ عند الأكل والشرب.

٦ ـ عند المقاربة والممارسة الجنسيَّة.

٧ ـ عند الكلام والتحدّث والخطابة.

٨ ـ عند الدخول في المكان المظلم.

٩ ـ عند الخروج من الدار.

١٠ ـ عند فتح باب الدار والمحلّ والمتجر وغيره.

ويستحب التسبيح باسم الرب: فقد وردت آيات متعدّدة في هذا المجال، منها قوله تعالى: ﴿فسبّح باسم ربّك العظيم﴾.[2]

ولكن تنفرد سورة التوبة بعدم بدئها بالبسملة لأنها تبدأ بإعلان الحرب على مشركي مكة وهذا لا ينسجم مع وصف الله بالرحمن الرحيم.

معنى البسملة

والبسملة تقتصر على صيغة (بسم الله) لأن كلمة (الله) جامعة لكل أسماء الله وصفاته، أما الأسماء الأخرى لله فتشير إلى قسم من

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١٢١.

(٢) سورة الواقعة، الآية ٧٤.

كمالاته كالرحمة والخالقية.

عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) في قوله اللّه عزّوجل ﴿بسم اللّه الرحمن الرحيم﴾ قال: اللّه هو الذي يتألّه إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوقٍ عند انقطاع الرجاء من كل مَن هو دونه وتقطّع الأسباب من جميع ماسواه، يقول: باسم اللّه، أي أستعين على أموري كلها باللّه الذي لاتحق العبادة إلاّ له، والمغيث إذا استغيث والمجيب إذا دُعي». [1]

والعلاّمة الإحسائي الشيخ أحمد بن زين الدين (تغمّده اللّه بالرضوان) يقول:

والباء في بسم: بهاء اللّه[2] إشارة إلى المفعولات العقلية، والسين سناء اللّه، إشارة إلى المفعولات النفسية، والميم: مجد اللّه، إشارة إلى المفعولات الجسمانية، وهذه المراتب الثلاث ظواهر النسبة ومراكب بواطنها.

والأسماء الثلاثة التي هي مسمّيات وهي: اللّه، الرحمن، الرحيم، مقوّماتها وبواطنها، وذلك لأن إسم اللّه هو المراد من الباء والمشار بها إليه، وإسم الرحمن هو المراد من الميم والمشار إليه.

وبيانه أن نقول: اللّه سبحانه هو المنسوب، والألوهيّة نسبته والباء محلّها وصورتها، والرحمن تعالى هو المنسوب والرحمانيّة

---

(١) التوحيد للصدوق باب معنى البسملة ص ٢٣٠ ح٥.

(٢) استناداً إلى ما روي في التوحيد باب معنى البسملة ص ٢٣٠ ح٢.

نسبته وهي: الرحمة المكتوبة فالباء صورة الألوهية التي هي صفة الله سبحانه وهي الجامعة:

١) لصفات القدس، كالسبحان والقدّوس والعزيز والعلي...

٢) ولصفات الإضافة كالعليم والسميع والبصير والقادر...

٣) ولصفات الخلق كالخالق والرازق والمعطي...

والسين، صورة الرحمانية التي هي صفة الرحمن تعالى وهي الجامعة لصفات الإضافة وصفات الخلق.

والميم صورة الرحيمية التي هي صفة الرحيم (عزَّوجل) وهي الجامعة لصفات الإضافة وصفات الخلق.

وروىٰ الشيخ الجليل الصدوق في كتابه معاني الأخبار عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه سُئل عن (بسم الله الرحمن الرحيم) فقال:

الباء بهاء الله، والسين سناء الله، والميم مُلك الله.

قال: قلت: الله؟

قال: الألف آلاء الله على خَلقه من النعم بولايتنا، واللاّم إلزام الله خلقه ولايتنا.

قلت: فالهاء؟

فقال: هوانٌ لمن خالَفَ محمداً وآل محمد (صلوات الله عليهم)

قلت: الرحمن؟

قال: بجميع العالم.

قلت: الرحيم؟

قال: بالمؤمنين خاصّة.[1]

إنّ قولنا: (بسم اللّه) في بداية كلّ عمل يعني (الإستعانة) باللّه ويعني أيضاً (البدء) بإسم اللّه، وهذان المعنيان متلازمان أي أبدأ بإسم اللّه وأستعين بذاته المقدّسة، وإن البدء بإسم اللّه يبعث فينا القوّة والعزم والثقة والاندفاع والصمود والأمل أمام الصعاب والمشاكل، والإخلاص والنزاهة في الحركة.

أمّا معنى: «الرحمن الرحيم» يقول الإمام الصادق(عليه السلام) في معنى (الرحمن) إنه اسم خاص بصفة عامة، و(الرحيم) اسم عام لصفة خاصة ـ كما أشار إلى ذلك صاحب تفسير مجمع البيان ـ.[2]

فاسم (الرحمن) يختص باللّه وحده ويحمل صفة رحمته الواسعة الشاملة لكلّ شيء، أمّا اسم (الرحيم) فهو اسم عام قد يشترك به الآخرون ولكنه يحمل عن اللّه عزّوجل صفة الرحمة الخاصة بالمؤمنين لوحدهم.

إنّ كلمة الرحمن اسم خاص بالذات الإلهيّة المقدّسة لأن الرحمن هو من يمتلك الرحمة الواسعة ﴿ورحمتي وسعتْ كلّ شيء﴾[3]

فرحمة اللّه عزّوجل تسع لتشمل وتغطّي كل شيء من إنسان وحيوان ونبات وجماد وملائكة وسائر الخَلق بملكها وملكوتها، وكل ما خلق اللّه من آثار رحمته عزّوجل، فالنبات في حقيقته أثر من

(١) معاني الأخبار باب معنى البسملة ج١ ح٢.

(٢) ج١ ص ٢١.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٥٦.

آثار رحمة اللّه، كما يؤكّد ذلك قوله تعالى: ﴿فانظر إلى آثار رحمة اللّه كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾[1].

بل أن وجود أي موجود هو بفضل رحمة اللّه تعالى، فقد أعطاه بمقدار وجوده وبمقدار ماتستدعيه إرادته تعالى في بقاء الموجود ودوامه، وهذا الأمر لايمكن أن يصدر عن غير اللّه تعالى، لذلك انحصرت الرحمة الواسعة الشاملة باللّه وحده.

فلفظ «الرحمن» لايطلق إلاّ على اللّه تعالى من حيث أنّ معناه لايصحّ إلاّ لَه، فهو الذي وسع كلّ شيء رحمة، قال تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾[2] ولعلّه إشارة إلى سعة الرحمة لأن العرش هو الذي له إشراف كامل على ماسواه من المخلوقات، ولهذا قال تعالى: ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستّة أيّام ثمّ استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾[3]، فهذه الصفة هي التي تتّسم بهذه الصيغة (الوسعة والإستيعاب) ولا تفاوت في الخلق أصلاً بل الأشياء كلها من هذا المنظار في مستوى واحد، قال تعالى: ﴿الذي خَلق سبع سماوات طباقاً ماترى في خَلق الرحمن من تفاوت﴾[4].

فكلّ خير إنما هو من الرحمن، كما انّ العذاب باعتباره مَظهراً

---

(١) سورة الروم، الآية ٥٠.

(٢) سورة طه، الآية ٥.

(٣) سورة الفرقان، الآية ٥٩.

(٤) سورة الملك، الآية ٣.

لغضب اللّه تعالى فهو من الرحمن، أمّا الشرّ بما هو شرّ فلا علاقة له باللّه، وإنما هو أمر عدمي أو قياسي، أي أن سمّ العقرب ـ مثلاً ـ شرّ فيما إذا قيس مع حياة الإنسان.

وأمّا الرحيم:

فهي صفة مشبَّهة بإسم الفاعل فتدلُّ على الثبوت، وتلازم عالَم الإستقرار والخلود، ولهذا تصاحب صفات أُخرى لها نفس الصبغة وهي «الغفور» وقد لازمتْها في خمسين مورداً وقد تقدَّمت على الغفور في مورد واحد.

كما صاحبت الرحيمية صفة (الرؤف) في أربعة موارد من القرآن الكريم وصفة (التوّاب) في مورد واحد و (الودود) في مورد واحد أيضاً.

إنَّ الرحمة الخاصة بالمؤمنين ـ والتي يعبّر عنها بالرحمة الرحيمية ـ هي أوسع من الرحمة الرحمانية بمراتب متعدّدة، فهي وإن كانت محدودة بأهل الإيمان إلاّ انها من حيث الكمّ والمقدار تعدل مائة ضعف من الرحمة الرحمانية، وهذا مايؤكّده قول النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): (إنّ للّه عزّوجل مائة رحمة، أنزل منها واحدة إلى الأرض فقسَّمها بين خَلقه، فبها يتعاطفون ويتراحمون، وأخّر تسعاً وتسعين يرحم بها عباده يوم القيامة) فرحمة اللّه عزّوجل الواسعة التي عمّت الخلائق أجمعين ليست إلاّ جزءً من مائة جزء من الرحمة الإلهية التي

أودعها جلّ جلاله في قلوب وأرواح المؤمنين وأوليائه الصالحين.[1]

وهذا يعني ان الرحمة الرحيمية هي رحمة اكتسابية لا تكوينية، أي تصل إلى متناول بني البشر من خلال السعي لها وطلبها فهي تختلف عن سنخ الرحمة العامة التي صارت في متناول الجميع دون سعي لها أو طلب للحصول عليها، فبالرحمة الرحيمية التي يحصل عليها العبد ينعم بآثارها المتجسّدة بالمنازل الشامخة والمراتب المعنوية الرفيعة وينل جنّة الخلد والوصول إلى رضوان اللّه تعالى، وهذا لا يتحقّق إلّا أن يرتفع الإنسان إلى منزلة الإنسانيّة التي أرادها اللّه له.

فعلنيا جميعاً أن نبادر ونسارع في الرجوع إلى ذواتنا ونجيل النظر في شريط عمرنا لنبحث فيه عن مقدار ماكسبنا فيه من حصيلة التقوى لنعرف درجة اللياقة والإستعداد في نيلنا لرحمة اللّه الرحيمية الخاصة وهي الرحمة التي تنفع الإنسان في يوم يكون فيه في أشدّ الحاجة وأمسّها إلى مثل تلك الرحمة، ولكن لن ينالها أبداً إلّا من سار في ركب أهل الإيمان وأعدّ نفسه بالتأهّل بها.

ارتباط البسملة بالسورة

يحتمل أن تكون (البسملة) في جميع السور القرآنية مرتبطة بالآيات التي تليها، ولقد قيل إن البسملة متعلّقة بمعنى مقدار واحد، ولكن الأقرب هو أن كل بسملة مرتبطة بنفس السورة التي تفتتحها،

---

(١) البحار ج٩٢ ص ٢٥٠ باختلاف يسير.

فمثلاً في (الحمد) ترتبط البسملة بما بعدها، وعند الشيعة الإمامية يكون معنى البسملة في كل سورة مختلفاً عن معنى البسملة في السورة الأُخرى وقد أوجبوا الجهر بها فيما يجب الجهر فيه بالقراءة كصلاة الصبح والمغرب والعشاء.

والمؤمنون الحقيقيّون يطهّرون قلوبهم بذكر البسملة في بداية كلّ عمل من كل عُلقة وارتباط، ويرتبطون باللّه وحده ويستمدّون منه العون ويتوسّلون إليه برحمته التي وسعت كل شيء.

والبسملة أيضاً تعلّمنا أن أفعال اللّه تقوم أساساً على الرحمة، والعقاب له طابع استثنائي لا ينزل إلّا في ظروف خاصة، كما نقرأ في الأدعية المرويَّة عن آل بيت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): «يا من سبقت رحمته غضبه».[1]

عظمة بسم اللّه الرحمن الرحيم

قال ابن عبّاس: أخذ بيدي علي بن أبي طالب (عليه السلام) وخرجنا إلى البقيع في أول الليل وقال لي: إقرأ يابن عباس. فقرأت: (بسم اللّه الرحمن الرحيم) فتكلّم لي في أسرار الباء، إلى بزوغ الفجر.[2]

وعنه (عليه السلام) قال: لو شئتُ لأوقرتُ سبعين بعيراً من باء

---

(١) دعاء الجوشن الكبير.

(٢) ينابيع المودّة ج١ ص ٦٨ باب ١٤.

(بسم اللّه الرحمن الرحيم).

لأنّ جميع أسرار اللّه سبحانه وتعالى في الكتب السماوية وجميع مافي الكتب السماوية في القرآن العظيم، وجميع مافي القرآن العظيم في الفاتحة، وجميع مافي الفاتحة في (بسم اللّه الرحمن الرحيم) وجميع ما في (بسم اللّه الرحمن الرحيم) في باء البسملة وجميع مافي باء بسم اللّه في النقطة التي تحت الباء.

إن أسرار القرآن الكريم في الفاتحة وأسرار الفاتحة في البسملة وأسرار البسملة في الباء وأسرار الباء في نقطتها.[1]

وقد ورد عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) أنه قال: خرجت الموجودات من باء (بسم اللّه الرحمن الرحيم).

فضيلة البسملة

جاء في كتاب مدينة المعاجز ـ للسيّد هاشم البحراني ـ عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) أنّه قال: مَن قَرأ (بسم اللّه الرحمن الرحيم) بنىٰ اللّه له في الجنّة سبعين ألف قصر من ياقوتة حمراء، في كل قصر ألف بيت من لؤلؤة بيضاء، في كل بيت سبعون ألف سرير من زبرجدة خضراء، فوق كلّ سرير سبعون ألف فراش من سندس وإستبرق وعليه زوجة من الحور العين، ولها سبعون ألف ذؤابة مكلّلة

---

(١) المصدر نفسه، وفيه قول الإمام علي (عليه السلام): أنا النقطة التي تحت الباء.

بالدُرّ والياقوت، مكتوب على خدّها الأيمن: محمد رسول اللّه، وعلى خدّها الأيسر: عليٌ وليّ اللّه، وعلى جبينها: الحسن، وعلى ذقنها: الحسين، وعلى شفتيها (بسم اللّه الرحمن الرحيم).

قال الراوي: قلت: يارسول اللّه لمن هذه الكرامة؟

قال: (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): لمن يقول بالحُرمة والعظيم: (بسم اللّه الرحمن الرحيم)[1].

كما روي عن ابن مسعود انّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) قال: من قرأ: (بسم اللّه الرحمن الرحيم) كتب اللّه له بكلّ حرف أربعة آلاف حسنة ومحى عنه أربعة آلاف سيّئة ورفع اللّه له أربعة آلاف درجة[2].

وقال (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): إذا مرَّ المؤمن على الصراط فيقول: (بسم اللّه الرحمن الرحيم) اطفأت لهب النار وتقول: جُزْ يامؤمن فإنّ نورك قد أطفأ لهبي[3].

الجهر بالبسملة

إنّ الجهر بالبسملة في الصلاة الجهريَّة ـ وهي صلاة الصبح والمغرب والعشاء ـ واجب، لأنّها جزء من السورة ـ سواء سورة الحمد

---

(١) تفسير البرهان ج١ ص٤٣ ح٣٠.

(٢) تفسير البرهان ج١ ص٤٣ ح٢٩.

(٣) تفسير البرهان ج١ ص٤٣ ح٣١.

أم غيرها ـ وكما يجب الجهر في قراءة الحمد والسورة يجب الجهر بالبسملة أيضاً.

ويستحبّ الجهر بالبسملة في صلاة الظهر والعصر وفي الصلوات المستحبّة أيضاً.

هذا هو مذهب أهل البيت (عليهم السلام) وقد صار شعاراً للشيعة الذين انتهجوا منهج آل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) واقتدَوا بهم وساروا علىٰ هديهم.

وقد رُويتْ في ذلك أحاديث متعدّدة، منها: عن الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: إنّها من الفاتحة، وإنّ رسول الله كان يقرأها ويعدُّها منها ويقول: فاتحة الكتاب هي السبع المثاني.[1]

وروىٰ ابن أذينة عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: «بسم الله الرحمن الرحيم» أحقّ ما جُهر بها، وهي الآية التي قال الله عزّوجل: ﴿وإذا ذكرتَ ربَّكَ في القرآن وحده ولّوا على أدبارهم نفورا﴾.[2]

وعن زرارة عن أحدهما (عليهما السلام) قال: في «بسم الله الرحمن الرحيم» قال: هو الحق فاجهر به...[3]

وعن أبي حفص الصائغ قال: صلّيتُ خلف جعفر بن محمد بن

---

(١) تفسير القمي ج١.

(٢) بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٨٢.

(٣) بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٧٤.

علي (عليهم السلام) فجَهَر بـ: بسم اللّه الرحمن الرحيم.[1]

وعن رجاء بن أبي الضحّاك أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) ـ في طريق خراسان ـ كان يجهر بـ«بسم اللّه الرحمن الرحيم» في جميع صلواته بالليل والنهار.[2]

هذا.. وقد صار الجهر بالبسملة من علامات شيعة آل محمد وشعائرهم التي يُعرفون بها في الدنيا والآخرة.

فقد روي عن الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) انه قال: «علامات المؤمن خَمس:

١ ـ صلاة الإحدىٰ والخمسين.

٢ ـ وزيارة الأربعين.

٣ ـ والتختّم باليمين.

٤ ـ وتعفير الجبين.

٥ ـ والجهر بـ«بسم اللّه الرحمن الرحيم».

فالعلامة الأُولىٰ هي الفرائض اليوميّة مع نوافلها المستحبَّة حيث تكون إحدىٰ وخمسين ركعة.

والعلامة الثانية هي زيارة سيّد الشهداء وريحانة رسول اللّه: الإمام الحسين (عليه السلام) في العشرين من شهر صفر.

---

(١) بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٧٩.

(٢) بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٧٩.

والعلامة الثالثة هي التختّم باليمين حيث صارت من علامات الشيعة الأبرار.

والعلامة الرابعة هي السجود على التربة في الصلاة، طاعة للّه ورسوله حيث قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): «جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً».

فترى الشيعة هم الذين يسجدون على التراب، أمّا غيرهم فيسجدون على المفروشات، ضاربين كلام رسول اللّه عرض الجدار.[1]

وأمّا العلامة الخامسة فهي الجهر بالبسملة في الصلوات.

وفي الآخرة أيضاً يُعرف الشيعة بهذه العلامة: فقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال: إذا كان يوم القيامة يقبل أقوام على نجائب من نور[2] ينادون بأعلى أصواتهم: «الحمد للّه الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوّء من الجنّة حيث نشاء».

قال (عليه السلام): فتقول الخلائق: هذه زُمرة الأنبياء.

فإذا النداء من قِبَل اللّه عزَّوجل: هؤلاء شيعة علي بن أبي طالب، فهم صفوتي من عبادي، وخيرتي من بريَّتي.

فتقول الخلائق: إلهنا وسيّدنا بما نالوا هذه الدرجة؟

فإذا النداء من اللّه: بتختّمهم في اليمين، وصلاتهم إحدىٰ

---

(١) لمزيد المعلومات عن السجود على الأرض راجع كتاب: السجود على التربة والجمع بين الصلاتين.

(٢) النجائب: الإبل التي يُسابَق عليها.

وخمسين، وإطعامهم المسكين، وتعفيرهم الجبين، وجهرهم ببسم اللّه الرحمن الرحيم.[1]

أمّا غير الشيعة

أمّا غير الشيعة فإنّ اكثرهم ـ أو كلّهم ـ قد اسقطوا البسملة من القراءة بصورة عامّة في الصلوات وغيرها، وهؤلاء ارتكبوا أمراً عظيماً وإثماً مُبيناً وذنباً كبيراً، وإلى هؤلاء اشار الإمام محمد الباقر (عليه السلام) حيث قال: سَرقوا آيةً من كتاب اللّه.[2]

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): ما لَهم؟! قاتَلَهم اللّه!! عَمدوا إلى أعظم آية في كتاب اللّه فزعموا انها بدعة إذا اظهروها».[3]

وحتّى في صلاة الجماعة ترى أن إمامهم يقرأ سورة الحمد بلا بسملة، وهذا يسبّب تمكُّن الشيطان من الإمام، كما جاء في الحديث الآتي:

قال الإمام الباقر (عليه السلام) لأبي حمزة الثمالي: يا ثمالي إنّ

---

(١) بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٧٩.

(٢) تفسير القمي ج ١.

(٣) المصدر السابق.

الشيطان ليأتي قرين الإمام[1] فيسأله: هل ذكر ربَّـه؟

فإن قال: نعم. إكتسع فذهب.[2]

وإن قال: لا، ركب على كتفيه وكان (الشيطان) إمامَ القوم حتى ينصرفوا.

قال: قلت: جُعلت فداك وما معنى قوله: ذكر ربَّـه؟

قال: الجهر ببسم اللّه الرحمن الرحيم.[3]

---

(١) الظاهر ان «القرين» هو الشيطان الموكَّـل به، والامام هو إمام الجماعة.

(٢) إكتسع الفحل: خَطر وضرب فخذيه بذنبه، ولعلّه ـ هنا ـ كناية عن الرجوع خائباً.

(٣) بحار الأنوار ج ٨٢ ص ٧٤.

سورة (يس) مكّية إلاّ آية واحدة
وعدد الآيات ٨٣

﴿يس، والقرآنِ الحكيم، إنّك لَمِن المرسَلين علىٰ صِراطٍ مُستقيم، تنزيلَ العزيزِ الحكيم﴾.

الحروف المقطّعة في القرآن

إنّ الحروف المقطَّعة في مطالع بعض سور القرآن ـ والتي يبلغ مجموعها أربعة عشر حرفاً ـ هي: ألم، حم، المر، طه، حم عسق، يس، كهيعص، ق، ن، والتي تجمعها هذه العبارة (صراط علي حق نمسكه) بإسقاط الحروف المكرَّرة، وقد نُقلت أقوال مختلفة عن معنىٰ هذه الحروف ولعلّ أقرب الأقوال هو أنّ هذه الحروف هي رمز بين اللّه وحبيبه، أي أنها رمز بين القائل ـ وهو اللّه تعالى ـ والسامع ـ وهو محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم)ـ.

وقد ذُكرت أيضاً وجوه أُخرى في معنى: «يس» منها: أنها تعني: يا أيّها الإنسان الكامل ـ وهو رسول اللّه ـ، والشاهد على ذلك هو أنه تعالى يقول بعدها: ﴿إنّك لمن المرسلين﴾[1].

وفي كتاب الخصال: روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: إنّ لرسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) عشرة أسماء، خمسة في القرآن وخمسة ليست في القرآن، فامّا التي في القرآن: فمحمد، قوله تعالى: ﴿ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم ولكنْ رسول اللّه وخاتم النبيّين﴾[2]. وثانياً باسم: أحمد إذ يقول: ﴿ومبشّراً برسولٍ يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾[3]، ثالثاً: بسم عبد اللّه حيث يقول: ﴿وأنّه لمّا قام عبد اللّه يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً﴾[4]، والإسمان الرابع والخامس «يس»، «ن»[5].

وجاء في أمالي الصدوق (رحمه اللّه): عن أميرالمؤمنين (عليه السلام) في قوله عزّوجل: ﴿سلام على إل ياسين﴾[6] قال: «يس» محمد ونحن آل محمد.[7].

---

(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٤١٦.

(٢) سورة الصف، الآية ٦.

(٣) سورة الجن، الآية ١٩.

(٤) سورة الجن، الآية ١٩.

(٥) الخصال باب العشرة ص ٣٩٥.

(٦) سورة الصافّات، الآية ١٣٠.

(٧) غاية المرام للبحراني باب ٨٨.

وجاء في كتاب: عيون أخبار الرضا (عليه السلام) في باب ذكر مجلس الرضا (عليه السلام) مع المأمون في الفرق بين العترة والأُمّة:

وقال أبوالحسن (عليه السلام): أخبروني عن قول اللّه تعالى: ﴿يس والقرآن الحكيم إنّك لمن المرسلين على صراط مستقيم﴾ فمن عنى بقوله: يس؟

قالت العلماء: يس: محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) لم يشك فيه أحد.

قال أبوالحسن (عليه السلام): فإنّ اللّه عزّوجل أعطى محمّداً وآل محمّد من ذلك فضلاً لا يبلغ أحد كنه وصفه إلّا من عقله، وذلك أنّ اللّه عزّوجل لم يسلّم على أحد إلّا على الأنبياء (صلوات اللّه عليهم) فقال تبارك وتعالى: ﴿سلام على نوح في العالمين﴾[1].

وقال: ﴿سلام على إبراهيم﴾[2] وقال: ﴿سلام على موسى وهٰرون﴾[3] ولم يقل سلام على آل نوح، ولم يقل سلام على آل إبراهيم، ولم يقل سلام على آل موسى وهارون، وقال: ﴿سلام على آل يس﴾ يعني آل محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم).

فقال المأمون: قد علمت أنّ في معدن النبوّة شرح هذا وبيانه.[4]

* * * *

(١) سورة الصافّات، الآية ٧٩.

(٢) سورة الصافّات، الآية ١٠٩.

(٣) سورة الصافّات، الآية ١٢٠.

(٤) عيون الأخبار ج١ ص ١٨٥.

أهمّيّة القرآن والرسول

قال تعالىٰ: ﴿والقرآن الحكيم إنّك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم﴾.

الواو للقسم «والقرآن» هو مجموع هذا الكتاب المقدّس ذي المائة والأربعة عشر سورة.

والمعنى: قَسَماً بالقرآن الذي يضمّ الحكمة، أي الحقائق والمعارف والمواعظ والنصائح الموجودة في هذا القرآن.

وقد وصف اللّه تعالىٰ القرآن بأوصاف متعدّدة منها: الحكيم، ومنها: المجيد، ومنها: الكريم، وهذه الأوصاف تبيّن الأبعاد والجوانب العظيمة في هذا الكتاب العظيم.

ويجوز أن يكون (الحكيم) صفة باعتبار صاحب القرآن أي: القرآن الذي هو من عند اللّه الحكيم.

﴿إنّك لمن المرسلين﴾.

لقد كان المشركون ينكرون رسالة خاتم الأنبياء، واللّه (عزَّوجل) في هذه الآية المباركة يقسم بالقرآن على صدق رسالة النبي محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) وفي الوقت نفسه أقام الدليل والبرهان.

وقسَم اللّه بالقرآن مع وصفه بالحكمة يومىءإلى شرف القرآن وعظمته، وأنه من أقوى الأدلّة على صدق محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) في دعوته، أمّا وصفه سبحانه لنفسه بالعزّة والرحمة في قوله: ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ فهو إشارة إلى أنّ اللّه يأخذ العُصاة المتمرِّدين

أخذ عزيز مقتدر، ويرحم المؤمنين والمنيبين، قال الإمام علي(عليه السلام): (لايشغله غضب عن رحمة، ولا تلهه رحمة عن عقاب).[1]

القرآن معجزة خالدة، فكل رسول يأتي ومعه معجزة فإذا مات راحت معجزته معه، فموسى (عليه السلام) مثلاً معجزته العصا إذا القاها تحوّلت إلى افعى، وعندما مات غابت معجزته من بين الناس، وعيسى (عليه السلام) كان يُحيي الموتى، وبعد صعوده إلى السماء توقّفت هذه المعجزة.

امّا النبي محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) فمعجزته باقية على قوّتها إلى يوم القيامة، وتلك هي القرآن، ولأنّ دينه باق حتّى يوم القيامة، فيجب أن يبقى الشاهد على صدقه معه، وأن من أتى بالقرآن كان مبعوثاً من قِبل اللّه، إذ يستحيل على أي إنسان أن ينشىء آية واحدة علىٰ هذا المستوىٰ من الفصاحة والبلاغة.

الفرق بين النبي والرسول

هناك فرق بين النبي والمرسَل، فالمرسل أخصّ من النبي، والنبي بمعنى المعطىٰ والمقدّم للنبأ، والرسول والمرسل بمعنى المبعوث، وعندما سئل الإمام الباقر (عليه السلام) عن الفرق بين الرسول والنبي؟ قال (عليه السلام) ما مؤدّاه: النبي الذي يرىٰ في منامه ويسمع الصوت

---

(١) بحار الأنوار ج ٧٤ ص ٣١٦.

ولا يعاين الملَك، والرسول الذي يسمع الصوت ويرىٰ في المنام ويعاين الملك[1].

وروي عن أبي ذرّ (رحمه الله) قال: قلت: يارسول الله كم النبيّون؟

قال: مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي.

قلت: كم المرسلون منهم؟

قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر، جمّاً غفيراً.

* * * *

الصراط المستقيم

قال تعالى: ﴿**علىٰ صراط مستقيم**﴾ فقد دلّنا الله على الصراط المستقيم في هذه السورة المباركة بالذات إذ قال: ﴿**وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم**﴾ فالتوحيد هو الصراط المستقيم، وهو أن يُعبَد الله فقط وليس غيره مهما كان ذلك الغير.

فالذي يمشي على طريق معوجة لن يبلغ مقصده، تماماً كمن يقترف الذنوب أو يتجبَّر، فهو قد انحرف عن صراط العبوديّة، فالمرائي أيضاً يسقطه رياؤه في طريق جهنّم، والصدق والإخلاص لله هو الصراط المستقيم.

وفي الصلاة نقرأ ﴿**إهدنا الصراط المستقيم**﴾ عشر مرات يومياً على الأقل.

---

(١) الكافي ج١ كتاب الحجّة ص ١٧٦ ح١.

إلهي أعـوذ بك أن أكـون مـصـداق قـولك الكريم: ﴿**الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يُحسنون صُنعاً**﴾[1].

* * * *

العزيز الحكيم

﴿**تنزيل العـزيز الرحـيم**﴾ إنّ القـرآن ـ الذي أُنزل ـ إنما أنزله إلـه عزيز وحكيم فقـد ورد هنا إسمان من الأسماء الحسنى: العزيز وهو من العـزّة، والرحيم وهو من الرحـمة والرأفة، أي لتعلمـوا أنّ إلهكم ليس لديه أي شكل من أشكال الحـاجة إليكم وإلى عبـادتكم على الإطلاق، فلو آمن الجـميع وأطاعـوا لما أضافـوا شيئـاً إلى مُلكه، ولو كفـر الجـميع وعصوا، لما نقص شيء من ملكه، وكل مايدعو إليه عزّوجل إنما هو من رحمته، لأنه لطيف بعباده ولأنّه رحيم بهم، فلقـد أرسل تعالى رحـمة عامـة باسم محمـد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم)[2] لتشـمل الجـميع حتّى قـال (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): انا الـرحـمة الـمُهداة، لكن البـعض أبوا الإستفادة من هذه الرحمة، فظلموا أنفسهم وأُصيبوا بالحرمان.

* * * *

---

(١) سورة الكهف، الآية ١٠٤.

(٢) قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾ سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

قال تعالى: ﴿لتنذرَ قَوماً ما أُنذرَ آباؤهم فهُم غافلون(٦) لقد حقَّ القولُ علىٰ أكثرهم فهم لا يؤمنون(٧) إنّا جَعلنا في أعناقِهم أغلالاً فهي إلى الأذقانِ فهُم مُقْمَحون(٨) وجعلنا مِن بين أيديهم سَدّاً ومِن خَلفهم سَدّاً فاغشيناهُم فهم لا يُبصرون(٩)﴾.

عاقبة المكذّبين

﴿لتنذر قوماً ما أُنذر آباؤهم فهم غافلون﴾ اللام لام السبب أي: إنّ اللّه العزيز الحكيم أنزل عليك القرآن لتنذر به هؤلاء القوم: أهل مكّة وجزيرة العرب.

﴿ما أُنذر﴾ لها وجهان:

الوجه الأوّل: ليتمَّ إنذار هؤلاء الذين لم يتمّ إنذار آبائهم، ولعلَّها إشارة إلى زمان (الفترة) إذ ان الزمان الممتدّ من بعد عيسى بن مريم إلى

عهد الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) يسمّونه زمان الفترة فلم يأت رسول، وذلك لفترة تقترب من ستمائة عام.

امّا الوجه الثاني: لتنذرهم بما أُنذر به آباؤهم، آباؤهم البعيدون وأجدادهم السابقون الذين أنذرهم السلف من الرسل. فيكون معنىٰ (ما) اسم موصول بمعنى الذين.

بعد أن ذكر سبحانه أنّ النبي محمّداً (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) هو رسول اللّه حقّاً، وأنّ القرآن تنزيلٌ من العزيز الرحيم، بيَّن مهمَّة القرآن وأنه يهتف بالزواجر عن محارم اللّه في اسماع العرب الغافلين عن اللّه والذين لم ينذرهم منذر قبل رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم).

والمراد بالنذير هو النبي العظيم الذي ملأ صيته الآفاق، فالهدف من نزول القرآن الكريم تنبيه الناس الغافلين وإيقاظ النائمين وتذكيرهم بالمخاطر المحيطة بهم، والذنوب والمعاصي التي ارتكبوها، والشرك وأنواع المفاسد التي تلوَّثوا بها، فالقرآن تطهير القلب والروح.

والرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) ليس نذيراً للعرب فحسب، بل هو نذير للناس كافّة إلى قيام يوم الدين[1]، فعلينا أن نبلغ قمة الشوق لبشاراته وأن نخاف إنذاراته، فبشاراته تدفعنا إلى العمل الصالح وامّا إنذاراته فتدفعنا إلى ترك الذنوب.

ثم يُخبر القرآن الكريم بما يؤول إليه مصير الكفّار والمشركين المكذّبين فيقول تعالى: ﴿لقد حقَّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾

---

(١) قال تعالى: ﴿وما أرسلناك إلاّ كافّة للناس﴾ (سورة سبأ، الآية ٢٨).

المراد بالقول هنا الوعيد بالعذاب، وضمير «أكثرهم» يعود إلى الآباء، أي آباء العرب الذين كانوا في عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) حيث مات أكثرهم على الشرك، والقليل القليل منهم كانوا على دين التوحيد.

﴿إنّا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مُقمَحون﴾.

الأغلال: جمع غلّ وهو الطَّوق من الحديد، والأذقان: جمع ذَقَن وهو مجتمع اللّحْيَين.

المقمح: إذا شدَّت الأيدي بالأغلال إلى الأعناق إرتفع الرأس إلى فوق، واستحال على المغلول أن يلتفت يمنة ويسرة أو ينظر إلى الأمام، فهو أبداً ينظر إلى السماء، وهذا هو المقمح.

والمقصود شدّ الأيدي، كنّي عنها وإن لم يذكرها، لأن الأعناق والأغلال تدلّان عليها، وذلك أن الغلّ إنّما يجمع اليد إلى الذقن والعنق، ولا يجمع الغل العنق إلى الذقن، لأن الغلّ لا يكون في العنق دون اليد، ولا في اليد دون العنق، ومثل هذا قول الشاعر:

وما أدري إذا يمّمتُ أرضاً أُريدُ الخير أيّهما يليني

هل الخيرُ الذي أنا أبتغيه أم الخير الذي لا يأتليني

ذكر الخير وحده. ثم قال: أيّهما يليني لأنّه قد علم أنّ الخير والشرّ معرضان للإنسان، فلم يدر أيلقاه هذا أم ذلك. ومثله في التنزيل: ﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحرّ﴾ ولم يقل البرد، لأن ما يقي من الحرّ يقي من البرد»[1].

---

(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٤١٦.

والذي طُـوِّق عنقه بالغلّ حتى الذقن، لا يرى شيئاً إذ يكون رأسه مشدوداً إلى أعلى، فلا يشاهد ما يجري على الأرض.

الحُـجُـب الغيبيّة

قال قال تعالى: ﴿**وجعلنا من بين أيديهم سَدّاً ومن خلفهم سَدّاً فاغشيناهم فهم لا يُبصرون**﴾.

أي: جعلنا أمامهم حاجباً وسَدّاً، وخلفهم كذلك حاجباً وسَدّاً وألقينا على أعينهم غشاوة فهم لا يُبصرون.

روي في كتاب الإحتجاج للطبرسي عن الإمام موسى بن جعفر عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي (عليهم السلام) قال: إنّ يهودياً من يهود الشام وأحبارهم قال لأمير المؤمنين (عليه السلام): فإنّ إبراهيم (عليه السلام) حُجب عن نمرود بحجب ثلاث؟

قال علي (عليه السلام): لقد كان كذلك ومحمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) حُجب عن من أراد قتله بحُجُب خمس، ثلاث بثلاث واثنان فضل، فإنّ اللّه عزّوجل وهو يصف محمداً قال: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سَدّاً﴾ فهذا الحجاب الأول ﴿ومن خلفهم سَدّاً﴾ فهذا الحجاب الثاني ﴿فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ فهذا الحجاب الثالث، ثمّ قال: ﴿وإذا قرأتَ القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾[1] فهذا الحجاب الرابع، ثم قال: ﴿فهي إلى الأذقان

(١) سورة الإسراء، الآية ٤٥.

فهم مقمحون﴾ فهذه الخمس الحجب[1].

وجاء في تفسير علي بن إبراهيم كلام طويل في بيان خروج النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) من بيته إلى الغار وغير ذلك وفيه: وامر رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) أن يُفرش له فَفُرش له فقال لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) «افدني بنفسك».

قال: نعم يا رسول اللّه.

قال: «يا علي نم على فراشي والتحف ببردتي».

فنام علي (عليه السلام) على فراش رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) والتحف ببردته، وجاء جبرئيل واخذ بيد رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) فاخرجه على قريش وهم نيام وهو يقرا عليهم: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سَدّاً ومن خلفهم سَدّاً فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾[2].

وروىٰ أبو حمزة عن مجتهد، عن ابن عباس: أن قريشاً اجتمعت فقالت: لئن دخل محمد لنقومنَّ إليه قيام رجل واحد! فدخل النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) فجعل اللّه من بين أيديهم سَداً ومن خلفهم سَدّاً، فلم يُبصروه، فصلّى النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) ثم اتاهم، فجعل ينثر على رؤوسهم التراب، وهم لا يرونه، فلمّا خلىٰ عنهم رأوا التراب، وقالوا: هذا ما سَحَركم ابنُ أبي كبشة.[3]

---

(١) تفسير البرهان ج٤ ص ٤ ح١.

(٢) بحار الانوار ج١١ ص ٣٢ باب معنىٰ النبوّة.

(٣) تفسير القمي ج٢ ص ١٨٦ ط الاعلمي.

أقول: هذا هو تفسير ظاهر الآيتين الشريفتين، غير انّه ذكر العديد من المفسّرين وجوهاً أخرىٰ في تفسيرهما:

احدها: إنّ هاتين الآيتين ـ جعلنا في أعناقهم وجعلنا من بين أيديهم ـ تتعلّقان بالآخرة، يجعلهم اللّه يوم القيامة بين سَدَّين من النار: واحد من أمامهم وآخر من خلفهم لايجدون متقدّماً عنهما ولا متاخّراً ولا يبصرون سماء ولا غيرها لأن السَدَّين قد اعميا ابصارهم، قد يكون هذا كناية عن أليم العذاب وشدّته.[1]

والوجه الآخر هو: انهما على سبيل المثال، مِن وضعتُ الأغلال في عنقه حتى ذقنه، ورأسه مرفوع في الهواء لا يُدرك شيئاً.

أمّا الوجه الثالث ـ وهو الأفضل ـ فهو أنهما تُقرِّران حقيقتين من الحقائق الفعليّة، فالآن وفي هذا الوقت وبهذا الجسد الفعلي، لو انكشفت الحقيقة الملكوتية لتبيّن أن هناك أغلالاً قد لُفَّت حول نفس الإنسان وهو لايدرك ذلك، وانّ أمامه حجاباً وخلفه حجاباً يمنعان عنه الإبصار.

وهذه الأغلال إنما هي الآمال والأماني من حب الشهوات وحب الدنيا والمال والرئاسة والطمع فهي أينما وُجدت تُعمي وتُصم.

فكلّ مَن اعمت الآمال والأماني والحرص والطمع بصيرتَه وأصمَّت سمعه لايعود بمقدوره أن يرى ما أمامه، في حين أنه ليس له منزل سوى قبره، إنه يرى كل شيء ماعدا قبره.

(١) انظر مجمع البيان ج ٨ ص ٤١٧.

فيا أيّها العزيز، لايغرّنك الشيطان بتبرير حبّك للدنيا والجاه والمال، وتفرّغ لعبادة اللّه والتفكّر في الآخرة، كما كان يفعل أولياء اللّه الصالحون.

قال طاووس الفقيه: رأيت الإمام زين العابدين (عليه السلام) يطوف من العشاء إلى السَّحَر ويتعبَّد، فلمّا لم ير أحداً رَمَق السماء بطرفة وقال: إلهي غارت نجومُ سماواتك وهَجعتْ عيون أنامك وأبوابك مفتّحات للسائلين، جئتك لتغفر لي وترحمني وتريني وجه جدّي محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) في عرصات القيامة. ثم بكى وقال: وعزّتك وجلالك ما أردتُ بمعصيتي مخالفتك، وما عصيتك إذ عصيتك وأنا بك شاكّ ولا بنكالك جاهل، ولا لعقوبتك متعرِّض، ولكن سوَّلت لي نفسي وأعانني على ذلك سترك المرخىٰ به عليَّ، فالآن مِن عذابك من يستنقذني؟ وبحبل مَن أعتصم إن قطعتَ حبلك عني؟ فواسوأتاه غداً من الوقوف بين يديك، إذا قيل للمخفّين: جُوزوا، وللمثقَلين: حُطّوا، أمع المخفّين أجوز؟ أم مع المثقَلين أحطّ؟ ويلي كلّما طال عمري كثرتْ خطاياي ولم أتب، أما آنَ لي أن أستحي مِن ربي؟ ثم بكى وأنشأ يقول:

أتحرقني بالنار يا غاية المنى
فأين رجائي ثم أين محبَّتي
أتيتُ بأعمال قباحٍ زريّةٍ
وما في الورى خَلق جنىٰ كجنايتي

ثم بكى وقال: سبحانك تُعصىٰ كأنك لاترى، وتحلم كأنّك

لم تُعصَ، تتودّد إلى خَلقك بحُسن الصنيع كأنَّ بك الحاجة إليهم، وأنت ياسيدي الغنيّ عنهم. ثم خرَّ إلى الأرض ساجداً.

قال فدنوتُ ورفعت رأسه ووضعتُه على رُكبتي وبكيتُ حتى جرت دموعي على خدّه فاستوى جالساً وقال: مَن الذي شغلني عن ذكر ربي؟

فقلت: أنا طاووس يابن رسول اللّه، ما هذا الجزع والفزع؟ ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون جانون، أبوك الحسين بن علي، وأُمّك فاطمة الزهراء، وجدّك رسول اللّه؟

قال: فالتفت إليّ وقال: هيهات هيهات يا طاووس دع عني حديث أبي وأُمي وجَدّي، خَلق اللّه الجنة لمن أطاعه وأحسن، ولو كان عبداً حبشيّاً، وخلق النار لمن عصاه ولو كان وَلداً قرشياً، أما سمعتَ قوله تعالى: ﴿فإذا نُفخ في الصُّور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا هم يتساءلون﴾ واللّه لا ينفعك غداً إلّا تَقْدمة تقدّمها مِن عمل صالح.[1]

* * * *

(١) بلاغة الإمام علي بن الحسين ص ٣١٨ والبحار ج٤٦ ص ٨١.

﴿وسواءٌ عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون(١٠) إنّما تُـنذِرُ مَن اتّبع الـذّكـرَ وخَشِـيَ الرحـمنَ بالغيبِ فـبشّره بمغـفـرةٍ وأجـر كـريم(١١) إنّا نَحنُ نُحـيي الـمَوتىٰ ونكتبُ مـا قـدَّمـوا وآثارهم وكلّ شيء أحصيناه في إمامٍ مبين(١٢)﴾.

مَن ينتفع بالإنذار ومَن لا ينتفع؟

قال﴿وسواء عليهم ءانذرتهم أم لم تُنذرهم لا يؤمنون، إنَّما تُنذرُ مَن اتّبع الذكرَ وخَشيَ الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم﴾.

سبق وأن قلنا بأن الإنسان لا يُساق بالإجبار ودون اختيار منه إلى الجنة أو النار، بل إن مايكون إنما هو كائن بإختياره فهو الذي يضَع الأغلال حول نفسه، هو الذي يُطوِّق بهذه الأغلال فلا يستطيع أن يدرك شيئاً، لأن الشهوات وحبَّ الدنيا أعمتْه وأصمَّته فانتصب أمامه سَدٌ وخَلفه سَدٌ فلم يَعُدْ يرىٰ عاقبة عمله، إلى حدٍّ لا يلتفت معه حتّى إلى شيخوخته، فالآمال والأماني جعلتْه غافلاً لا يلتفت إلى

الموت، كما يغفل عن ذنوبه السابقة من ناحية أخرى فيبلغ حداً يغدو معه ممن يشمله قوله تعالىٰ: ﴿وسواء عليهم ءَأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ سيّان عندهم ـ يا محمد ـ وعظتَ أم لم تعظ، فإنهم لا يتحرّكون إلاّ بوحي من أهوائهم ومصالحهم، فهم لا يملكون أيَّ إستعداد لتقبُّل الإنذارات الإلهية، ويتساوى عندهم الإنذار وعدمه، فلم يترك هذا في قلبه أثراً ولو بمقدار ذرَّة[1] فقد فسدت الفطرة الإنسانية عنده فهو لا يدرك شيئاً غير المادَّة والماديّات.

إن الحياة إذا وُجدت في جسم مّا ظهرت آثارها، فالقلب له علامة وآثار حياة القلب تظهر عند تلقّيه بشارة أو إنذار، أمّا لو كان ميّتاً، فلن يؤثّر فيه شيء، في حين نجد هناك فئة أخرى على نقيض هذه الفئة الأولى، حيث تؤثّر فيهم مواعظ وإنذارات النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) يقول تعالىٰ: ﴿إنّما تنذر من اتّبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب﴾ إنّما يستمع إليك ويقبل منك مَن طلب الحق لوجه الحق، ويمضي عليه مهما تكن النتائج، وهؤلاء لهم صفتان ـ كما ذكرت الآية ـ وهي: اتّباع الذكر والخشية من اللّه في الغيب فهؤلاء لهم أسماع واعية وقلوب مهيّأة، فالإنذار يترك فيهم أثرين: الأول: إتّباع الذكر والقرآن الكريم، والآخر: الإحساس بالخوف بين يدي اللّه والإحساس بالمسؤلية، فجملة «فبشّره» في الحقيقة تكميل للإنذار، إذ أن الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) في البدء يُنذر وحين يتحقّق للإنسان إتباع

---

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿أموات غير أحياء وما يشعرون أيّان يُبعثون﴾ (سورة النحل، الآية ٢١).

الذكر والخشية وتظهر آثارها على قوله وفعله، هنا يبشره الباري عزّوجل بأنه سيغفر له جميع الزلّات التي ارتكبها، ويبشّره بعدئذ بأجر كريم وثواب جزيل لايعلم مقداره ونوعه إلّا اللّه سبحانه.

قوله تعالى: ﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾ الغيب هو الخفاء. أي انه يخشى اللّه في الخفاء حيث لا أحد غير اللّه سبحانه، ومثال على خشية اللّه في السر: النبي يوسف (عليه السلام) عندما حاصرته (زليخا) في غرفة مغلقة الأبواب فالقت شالها على صنم كان هناك قائلة: يقبح أن أقوم أمام الصنم بعمل لا يليق! فقال يوسف (عليه السلام): أنت تخجلين من صنم ليس له شعور فحريٌّ بي أن أخجل أنا من اللّه العليم الخبير؟!

أحياناً يتساءل الإنسان مع نفسه: هل هو مؤمن أم لا؟ وإذا نزل به الموت هل سيكون على إيمان أم لا؟

يقول أميرالمؤمنين(عليه السلام) في نهج البلاغة: «إن المؤمن يُصبح ويمسي ونفسه ظَنون عنده فلايزال ضارياً عليها ومُستزيداً لها».

أي ان المؤمن هو ذلك الذي يطلب تزكية نفسه، فهو يسيء الظن بنفسه ليل ونهار ويحاذر دائماً أن يغرَّه شيطان النفس ويجعله يرى الحسن في نفسه، لذلك فهو سيء الظن بنفسه فكلّما يعمل من عمل يحاسب نفسه على ذلك كي لايصيب نيته الخلل، ودائماً يكون ضارياً على نفسه وقاسياً عليها ويجاهدها ويزيد في جهادها.

وهناك رواية عن الإمام الباقر (عليه السلام) هي معيار لأول درجات الإيمان يقول (عليه السلام): «من سرّته حسنة وساءته سيّئة،

فهو مؤمن).[1]

نَعم، المؤمن مقتنع بالثواب والعقاب، خاصة في موارد الذكر، فهو إذاً حيُّ القلب.

نافذة على عالَم الآخرة

قال ثم تنتقل الآية إلى مسالة المعاد والبعث والكتاب والحساب والمجازاة، تقول: ﴿إنّا نحن نحيي الموتىٰ ونكتب ما قدّموا وآثارهم، وكلّ شيء احصيناه في إمام مبين﴾.

ماذا قيل عن الموت؟

روي عن موسى بن جعفر (عليهما السلام) أنه قال: قيل للصادق(عليه السلام): صف لنا الموت؟

قال: للمؤمن كاطيب ريح يشمّه فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كلّه عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولدغ العقارب أو أشدّ.[2]

وعندما قيل للامام علي بن الحسين (عليه السلام) ماالموت؟

قال: للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة وفكّ قيود واغلال ثقيلة، والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح، واوطأ المراكب وآنس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن منازل أنيسة والاستبدال

---

(١) بحار الأنوار ج ٨ ص ٣٥١.

(٢) بحار الأنوار ج٦ ص ١٥٢ ج٦.

بأوسخ الثياب وأخشنها، وأوحش المنازل وأعظم العذاب.[1]

وقيل للامام محمد بن علي الباقر (عليه السلام): ما الموت؟

قال: هو النوم الذي يأتيكم كل ليلة إلاّ انه طويلٌ مدّته لا يُنتبه منه إلاّ يوم القيامة.[2]

قال تعالىٰ: ﴿إنّا نحن نحيي الموتىٰ﴾.

عشرات الآيات القرآنية تؤكّد على الحياة بعد الموت، على خلاف ما كان يعتقده المشركون من أن الموت هو الانعدام الكامل والفناء الأبدي.

كلاّ.. بل هو بداية حياة جديدة..

إن الموت هو المحطّة الاولىٰ في عالَم الآخرة..

يقول البعض: ان الروح تتّصل مباشرة ـ بعد الموت ـ بالجسد المثالي الذي يشبه الجسد المادّي الذي يتحوّل إلى تراب، ويحلّ هذا الجسد المثالي اللطيف محلّ الجسد المادّي.

وعلىٰ كلّ حال.. فإنّ الحياة بعد الموت تُعتبر من الأُمور الغيبيَّة ولا يستطيع الانسان استيعابها إلاّ إذا فارق الحياة ووصل إلى مرحلة «عين اليقين».

نحن الآن في مرحلة «عِلم اليقين» ولابدَّ أن ننتقل إلى مرحلة «عين اليقين» وهناك يعرف المنكرون للآخرة أنهم كانوا خاطئين وأن

---

(١) بحار الانوار ج ٦ ص ١٥٥.

(٢) المصدر نفسه.

الحق مع المؤمنين، وعند ذلك لا ينفع الندم ولا يمكن لهم الرجوع إلى الدنيا.

قال تعالىٰ: ﴿ونكتبُ ما قدَّموا﴾.

قال أكثر المفسّرين: أي: نكتب الأعمال التي قدَّموها للآخرة وأرسلوها قبل الموت، فهذه الدنيا مزرعةٌ للآخرة، وسوف يُقدم الانسان على ماقدَّم، كما قال سبحانه: ﴿ووَجَدوا ماعملوا حاضراً ولا يَظلم ربُّك أحداً».

قال الامام علي أميرالمؤمنين (عليه السلام): أيها الناس إنَّما الدنيا دار مَجاز والآخرة دار قرار، فخُذوا من مَمرّكم لمقرّكم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، وأخرِجوا من الدنيا قلوبكم مِن قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختُبرتُم ولغيرها خُلقتم، إنَّ المرء إذا هلك قال الناس: ماترك؟ وقالت الملائكة: ماقدَّم...»[1].

قال تعالىٰ: ﴿وآثارَهم﴾.

وهي الصدقات الجارية التي تبقىٰ بعد الإنسان، وتدرُّ عليه بالثواب المتواصل.

وقد جاء في الحديث الشريف:

إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلّا عن ثلاث:

١ ـ عِلم ينتفع به الناس.

٢ ـ أو صدقة جارية.

---

(١) نهج البلاغة.

٣ ـ أو ولدٌ صالح يستغفر لوالديه.

وهكذا المساجد والحسينيات والأوقاف الخيرية النافعة كالمدارس الدينيَّة والمراكز العلميَّة والمؤسَّسات الثقافيَّة وطبع الكتب الاسلامية وبناء المساكن للفقراء واليتامىٰ وغير ذلك. هي من الآثار التي تبقىٰ بعد الإنسان..

فهنيئاً لمن يكوِّن لنفسه رصيداً عند اللّه تعالىٰ ويغتنم فرصة العُمر وايّام الحياة.

والحسرة والندامة سوف تكون عاقبة من فرَّط في هذه الحياة وغَفل عن الآخرة وشَغَل نفسه باللذّات الفانية والماديّات الزائلة... قال تعالى: ﴿ما عندكم يَنفد وما عند اللّه باق».

قال تعالىٰ: ﴿**وكلَّ شيء أحصيناه في إمام مبين**﴾.

ما هو المقصود من: «إمام مبين»؟

قال البعض: إنه صحيفة أعمال الإنسان، فكلّ مايصدر منه ـ من قول أو فعل ـ فهو يسجَّل في صحيفة أعماله، كما قال سبحانه: ﴿وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عُنُقه ونُخرجُ له يوم القيامة كتاباً يلقاه مَنشوراً، إقرأ كتابك كفىٰ بنفسك اليومَ عليك حسيباً﴾[1].

وقال سبحانه: ﴿يابُنيَّ إنّها إنْ تكُ مثقالَ حبّةٍ من خردل فتكن في صخرةٍ أو في السماوات أو في الأرض يأت بها اللّه إنَّ اللّه لطيف خبير﴾[2]

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١٣.

(٢) سورة لقمان آية ١٦.

وفي هذا المجال روي أن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) نزل بأرض قرعاء، فقال لأصحابه: ءاتوا بحطب.

فقالوا: يا رسول اللّه نحن بأرض قرعاء ما بها حطب.

قال: فليأتِ كلُّ إنسان بما قدر عليه.

فجاؤا به حتى رمَوا به بين يديه بعضَه على بعض، فقال رسول اللّه(صلّى اللّه عليه وآله وسلم) هكذا تجمع الذنوب.

ثم قال (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): إيّاكم والمحقَّرات من الذنوب، فإنّ لكلّ شيء طالباً، ألا وإنَّ طالبها يكتب ما قدَّموا وآثارهم وكلَّ شيء أحصيناه في إمام مبين.[1]

وقال بعض المفسّرين: انّ معنى الإمام المبين هو اللّوح المحفوظ الذي سُجّل فيه كلّ شيء.

هذا تفسير الآية، وأمّا تأويلها فقد وردت طائفة مِن الأحاديث الشريفة التي تصرِّح بأن المقصود من الإمام المبين هو الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) فهو الذي أودع اللّه فيه علوم الأوّلين والآخرين، وهو خليفة اللّه وخليفة رسوله. فمن تلك الأحاديث ماروي عن الإمام الباقر(عليه السلام) انه قال: لمّا نزلت هذه الآية على رسول اللّه: ﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ قام أبوبكر وعمر من مجلسهما وقالا: يارسول اللّه هو التوراة؟

قال: لا.

---

(١) تفسير نور الثقلين ج٤ ص ٣٧٨ ح٢٥.

قالا: فهو الإنجيل؟

قال: لا.

قالا: فهو القرآن؟

قال: لا.

قال: فاقبل أميرالمؤمنين (عليه السلام) فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): هو هذا، إنه الإمام الذي أحصىٰ الله (تبارك وتعالى) فيه علم كل شيء.[1]

وروي عن أميرالمؤمنين (صلوات الله عليه) أنه قال: أنا والله الامام المبين، أبيِّن الحق من الباطل، ورثته من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم).[2]

وفي كتاب الاحتجاج عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) حديث طويل يقول فيه: «معاشر الناس ما من علم إلاّ علّمنيه ربّي وأنا علّمته علياً وقد أحصاه الله فيَّ، وكلّ علم عَلِمتُه فقد أحصيته في إمام المتّقين وما من علم إلاّ علّمته علياً».

لقد وردت روايات كثيرة ـ في كتب علماء الشيعة وأهل السُنة ـ تصرّح بغزارة علم أميرالمؤمنين علي (عليه السلام).

منها: ما رواه العلاّمة القندوزي الحنفي في كتابه ينابيع المودّة عن عمّاربن ياسر قال: كنت مع أميرالمؤمنين (عليه السلام) سائراً فمررنا

---

(١) ينابيع المودّة ١ ص ٧٥ باب ١٤ وتفسير البرهان ج٤ ص ٧.

(٢) تفسير القمي ج٢ ص ١٨٧.

بواد مملوء نملاً فقلت: يا أمير المؤمنين ترى أحداً من خلق الله تعالى يعلم عدد هذا النمل؟

قال: نعم يا عمّار، أنا أعرِف رجلاً يعلم عدده، ويعلم كم فيه ذكر وكم فيه أُنثى.

فقلت: من ذلك الرجل؟

فقال: يا عمّار ما قرأت في سورة يس: ﴿وكلّ شيء أحصيناه في إمام مبين﴾؟

فقلت: بلى يا مولاي.

فقال: أنا ذلك الإمام المبين.[1]

وروى أيضاً عن أبي ذر قال: كنت سائراً مع علي (عليه السلام) إذ مررنا بواد نمله كالسيل، فقلت: الله أكبر، جلَّ محصيه.

فقال (عليه السلام): لا تقل ذلك، ولكن قل: جلَّ بارؤه، فوالذي صوَّرني وصوَّرك إني أُحصي عددهم وأعلم الذكر منهم والأُنثىٰ بإذن الله عزّوجل.[2]

هذا قليل من كثير من الروايات في باب إحاطة علم الإمام علي(عليه السلام) بالأشياء.

* * * *

---

(١) ينابيع المودّة ج١ ص ٧٥ باب ١٤ وتفسير البرهان ج٤ ص٧ ح١٠.

(٢) المصدر السابق.

قال تعالى: ﴿و اضربْ لهم مَثَلا أصحاب القرية إذ جاءها المرسَلون(١٣) إذ أرسلنا إليهمُ اثنين فكذّبوهُما فعزّزنا بثالثٍ فقالوا إنّا إليكم مُرسَلون(١٤) قالوا ما أنتم الاّ بشرٌ مِثلُنا وما أنزل الرحمنُ من شيٍّ إن أنتم إلاّ تَكْذِبون(١٥) قالوا ربُّنا يعلم إنّا إليكم لَمرسَلون(١٦) وما علينا إلاّ البَلاغُ المبين(١٧)﴾.

قصّة الرُسُل الثلاثة

﴿واضرب لهم﴾ يا رسول اللّه (مَثلاً) أي: مثِّلْ لهم مثالاً، أو اذكر لهم مثال (أصحاب القرية) قرية إنطاكية ـ في قول المفسِّرين ـ ﴿إذ جاءها المرسَلون﴾ أي: حين بعَث اللّه إليهم المرسَلين ﴿إذ أرسلنا إليهم اثنين﴾ أي: رسولين من رُسلنا ﴿فكذَّبوهما﴾ أي فكذّبوا الرسولين، وحبسوهما في بيت الأصنام وضربوهما ﴿فعزَّزنا بثالث﴾ أي فقوَّيناهما وشددنا ظهورَهما برسول ثالث ﴿فقالوا إنّا إليكم

مرسَلون﴾ أي قالوا لهم: يا أهل القرية إن اللّه ارسلنا إليكم ﴿قالوا﴾ أي أهل القرية ﴿ما أنتم إلاّ بشر مثلنا﴾ فلا تصلحون للرسالة، كما لا نصلح نحن لها ﴿وما أنزل الرحمن من شيء﴾ تدعوننا إليه ﴿إن أنتم إلاّ تكذبون﴾ أي: ما أنتم إلاّ كاذبون فيما تزعمون، حيث اعتقدوا أن من كان مثلهم من البشر لا يصلح أن يكون رسولاً، وذهب عليهم أن اللّه (عزَّ اسمه) يختار من يشاء لرسالته، وأنه عَلم مِن حال هؤلاء صلاحهم للرسالة وتحمّل أعبائها.

﴿قالوا ربّنا يعلم إنّا إليكم لمرسلون﴾ وإنما قالوا ذلك بعدما قامت الحجَّة بظهور المعجزة، فلم يقبلوها. ووجه الإحتجاج بهذا القول أنهم الزموهم بذلك النظر في معجزاتهم ليعلموا أنهم صادقون على اللّه، لأن المعجزة خَرقٌ للطبيعة ولا يمكن ذلك إلاّ بإذن اللّه وقدرته.

﴿وما علينا إلاّ البلاغ المبين﴾ أي: وليس يلزمنا إلاّ اداء الرسالة والتبليغ الظاهر.

وقيل: معناه: علينا أن نحملكم على الإيمان، فإنا لا نقدر عليه.[1]

القصة

بَعث عيسى (على نبيّنا وآله وعليه السلام) بأمر اللّه رسولين من الحواريِّين إلى مدينة انطاكية فاتياها ولم يَصِلا إلى مَلكها، وطالت مدّة

---

(١) انظر مجمع البيان ج ٨ ص ٤١٨ ـ ٤١٩.

مقامهما، فخرج الملك ذات يوم فكبَّرا وذكرا اللّه، فغضب الملك وأمر بحبسهما، وجَلد كل واحد منهما مائة جلدة، فلما كُذِّب الرسولان وضُربا، بعث عيسى: شمعون الصفا ـ رأس الحواريّين ـ على أثرهما لينصرهما، فدخل شمعون البلدة متنكّراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه ورضى عشرته وآنس به وأكرمه.

ثم قال له شمعون ذات يوم: أيّها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل سمعت قولهما؟؟

قال الملك: حالَ الغضبُ بيني وبين ذلك.

قال: فإنْ رأىٰ الملك دَعاهما حتى نتطلَّع ما عندهما؟

قال: فبَعث الملك إليهما، فلمّا دخلا عليه قال لهما شمعون: مَن أرسلكما إلى هاهنا؟

قالا: اللّه الذي خلق كل شيء، لا شريك له.

قال: وما آيتكما؟

قالا: ما تتمنّاه.

فأمر الملك أن يأتوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فقال لهما: ادعُوَا الٰهكما أن يردّ بَصَر هذا، فقاما وصلّيا ركعتين فما زالا يدعوان حتى انشقَّ موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعاها في حدَقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجّب الملك.

فقال شمعون للملك: أرأيت لو سألت إلهك حتّى يصنع صنيعاً

مثل هذا فيكون لك ولإلهك شَرفاً.

فقال الملك: ليس لي عنك سر، إن الهنا الذي نعبده لا يضرّ ولا ينفع.

ثم قال الملك للرسولَين: إنْ قَدر إلهكما على إحياء ميت آمنّا به وبكما.

قالا: إلهنا قادر على كلّ شيء.

فقال الملك: إن هاهنا ميّتاً مات منذ سبعة أيّام لم ندفنه حتّى يرجع ابوه، فجاءوا بالميّت وقد تغيّر وأروح، فجعلا يدعوان ربَّهما علانية وجعل شمعون يدعو ربَّه سرّاً، فقام الميّت وقال لهم: إني متّ منذ سبعة أيام وأدخلت في سبعة أودية من النار وانا أُحذّركم ممّا انتم فيه فآمنوا باللّه.

فتعجّب الملك، فلمّا علم شمعون ان قوله أثّر في الملك، دعاه إلى اللّه فآمن، وآمن مِن اهل مملكته قوم وكفر آخرون.

وقد روى مثل ذلك العياشي بإسناده عن الثمالي وغيره، عن الإمام الباقر والإمام الصادق (عليهما السلام) إلّا أنّ في بعض الروايات: بعث اللّه الرسولين إلى أهل أنطاكية ثم بعث الثالث، وفي بعضها: أن عيسى أوحىٰ اللّه إليه أن يبعثهما، ثم بعث وصيَّه شمعون ليخلّصهما وانّ الميّت ـ الذي أحياه اللّه تعالى بدعائهما ـ كان إبن الملك، وأنه خرج من قبره ينفض التراب عن رأسه.

فقال له: يابُني! ما حالك؟

قال: كنت ميّتاً، فرأيت رجلين ساجدين يسألان اللّه تعالى أن يحييني.

قال: يا بني فتعرفهما إذا رأيتهما؟

قال: نعم.

فأخرج الناس إلى الصحراء فكان يمرُّ عليه رجلٌ بعد رجل، فمرَّ أحدهما بعد جمع كثير.

فقال: هذا أحدهما. ثم مرَّ الآخر فعرفهما، وأشار بيده إليهما، فآمن الملك وأهل مملكته.[1]

والأظهر الأوفق بسياق الآيات هو القول الأوّل وأنهم ماآمنوا بأجمعهم، بل في بعض التفاسير أن الغلبة كانت للكفّار والمكذّبين وهم الذين قتلوا حبيب النجار صاحب يس.

وقال ابن إسحاق: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل. والذين أخذوا يجادلون ويخاصمون كان جدالهم أن قالوا: ﴿ما أنتم إلّا بَشرٌ مثلنا﴾ لا تمتازون عنّا بشيء، فكيف والحال هذه يوحي اللّه إليكم!

﴿وما أنزل الرحمن من شيء﴾.

هذا قول طائفة من الوثنيِّين يقولون: إنّ الناس كلّهم سواء، لا امتياز لأحدهم على الآخر، فلو كانت دعوة الأنبياء صادقة، لكان على اللّه أن يبعث مَلكاً، فيقول القرآن في الجواب عن ذلك: ﴿ولو

---

(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٤١٩ ـ ٤٢٠ والبرهان ج ٤ ص ٧.

جَعلناه مَلَكاً لجَعلناهُ رجُلاً ولَلَبسْنا عليهم مايَلْبِسُون﴾[1].

ان الرسول يجب أن يكون من جنس البشر حتى يمكنهم مجالسته ومخاطبته، ولو كان من جنس آخر لاستحال ذلك. ومن الضروري أن يمنح اللّه الرسول ميزة تميِّزه عن غيره من افراد البشر وذلك كي لا يقولوا: انه (اي الرسول) يماثلنا ولا يمتاز عنّا بشيء، فلا يصدِّقونه، لذلك يجب أن يكون متميّزاً بالعلم والقدرة، كما هو الحال مع الرسولين أو الرسل الثلاثة المشار إليهم في القصّة، إذ امتلكوا معجزة الإحياء.

﴿قالوا ربّنا يعلم إنّا إليكم لمُرسَلون، وما علينا إلاّ البلاغ المبين﴾.

قال الرسل الثلاثة: ﴿ربّنا يعلم إنّا إليكم لمرسَلون﴾. أي ربّنا يعلم، وهو شاهدنا انّا إليكم مرسَلون. فتكذيبكم أو تصديقكم لا أثر له في نبوّتنا.

﴿وما علينا إلاّ البلاغ المبين﴾ فتكليفنا هو أن ننقل إليكم دعوة اللّه واضحة، وسواء أقبلتم أم لم تقبلوا فإنّنا قد ابلغناكم بالتوحيد والمعاد دون أدنى شكّ أو ريب.

* * * *

(١) سورة الأنعام، الآية ٩.

قال تعالى: ﴿**قالوا إنّا تطيّرنا بكم لَئنْ لَم تنتهُوا لَنرجُمنَّكُم ولَيمسَّنَّكم مِنّا عذابٌ أليم(١٨) قالوا طائِرُكم مَعَكم أئن ذُكّرتُم بلْ أنتُم قومٌ مُسرفون(١٩) وجاء من أقصا المدينة رَجلٌ يسعىٰ قال يا قوم اتّبعوا المُرسَلين(٢٠) اتّبعوا مَن لا يسألُكم أَجْراً وهُم مهتدون(٢١)**﴾.

التَطيُّر والتشاؤم حقيقة أم خيال؟

﴿قالوا إنّا تطيّرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجُمنّكم ولَيمسنّكم منّا عذابٌ أليم﴾.

وبَدل أن يعتبر أهالي (أنطاكية) مَقْدم الرسولَين والمبعوثين الإلهيّين مقدماً مباركاً تشاءموا وقالوا: إن لم تمتنعوا عن قولكم هذا لرجمناكم وعذّبناكم أليم العذاب، فلا تذكروا اسم اللّه والآخرة في هذه المدينة واخرجوا من هنا، إننا نتشاءم منكم ونتوجّس شرّاً ولن يأتينا

منكم سوى المتاعب.

﴿قالوا﴾ الرُسل: ﴿طائركم معكم) وتشاؤمكم يرتدّ عليكم ﴿ءَإن ذُكّرتم﴾ بأنّ الأصنام عاجزة لا يمكنها فعل شيء، فهل في هذا التذكير مايدعو لتشاؤمكم؟ وإنْ قيل لكم أعِدّوا العدَّة لعالَم مابعد موتكم، هل في هذا الكلام تشاؤم؟

وبالمناسبة نقول: إنّ أنواع التطيّر والتشاؤم التي تعرض لبعض الناس، ثم تتحقّق إنما هي من أنفسهم، فمثلاً يخرج أحدهم من بيته، فيكون أوّل شخص يصادفه أعمى البصر مثلاً، أو يرى ميّتاً أو يقع بصره على مريض فيتشاءم ويتوجّس خيفة ممّا قد يحدث له في يومه ويرجع من حيث أتى، متخلياً عمّا عزم على القيام به من عمل.

هذه التشاؤمات لا أثر لها في الخارج، بل هي تنبعث من داخل المتشائم، فالشؤم هو من التفكير، وليس من ذلك المصدر المتوهَّم.

قال الإمام الصادق(عليه السلام): الطيرة على ما تجعلها، إنْ هوَّنتَها تَهوّنت، وإن شددتها تشدّدت، وإن لم تجعلها شيئاً لم يكن شيئاً.[1]

﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ أي ليس فينا مايوجب التشاؤم بنا، ولكنكم متجاوزون عن الحدّ في التكذيب للرسل والمعصية. إنكم أسرفتم وتجاوزتم الحدّ، فكلّ من تجاوز حدَّ الإعتدال وتصرَّف خلاف العقل الصريح فهو مسرف.

---

(١) تفسير نور الثقلين ج٤ ص ٣٨٢ ح٣٣.

الانسان يانس بما يناسبه

نقل صاحب تفسير (روح البيان) في تفسير هذه الآية الشريفة ﴿لئن لم تنتهوا لنرجمنّكم، وليمسّنكم منّا عذاب اليم﴾ قصّة لطيفة نذكرها بالمناسبة.

يُروىٰ أنّ دبّاغاً وزبّالاً قصدا السوق يوماً ـ وكلاهما معتادان على القذارة والرائحة الكريهة ـ واتّفق أنْ مَرَّ الدباغ بمكان لبيع العطور في سوق العطّارين، فبلغت رائحة العطر مشامّه، فصاح صيحة سقط بعدها على الأرض مُغمىً عليه، فسارع العطّارون لمساعدته وراحوا يرشّون عليه العطر وماء الورد، غير أنّ حاله ازدادت سوءً، وبينما هم على هذه الحال، يحيطون به من كلّ ناحية، وصَل زميله الزبّال في الوقت المناسب، ورأى ما جرىٰ لزميله، فأدرك على الفور ما يشكو منه، فذهب وأتى بقليل من النجاسة ووضعها تحت أنف الدبّاغ، فعاد إليه وعيه وثاب إلى رشده، فسألوا هذا الطبيب الحاذق عن الدواء العجيب؟ فقال: أنا لست أفلاطون ولا أرسطو، وكلّ ما في الأمر هو أنّ شُغلنا في القذارة والنجاسة، مالنا ولرائحة العطر وماء الورد؟!

تفيد هذه القصّة أن كلّ إنسان يأنس بعالَمه، فليكن أُنسك ـ أيّها الإنسان ـ بالعالَم الأعلى، وأن تكون من أهل الجنّة، فإذا ذُكِرَ الموت استبشرتَ بالموطن الدائم، وليكن إحساسك عند ذكر الموت كمن يلقىٰ مواطناً له وهو في سفر، فيروح يدور حوله، ويسأله عن أخبار الوطن، وكلّ أُنسه هو أن يسأل عن الوطن. فالدنيا دار الغربة، وآية السعادة هي أن تأنس عند ذكر وطنك، لا أن تستوحش وتتطيَّر من ذكر الموت

وعالَم الآخرة، وكم نرى الكثير ممّن يتشاءم من الموت، حتى انهم لا يذكرون اسمه بل يكتفون بمجرّد الإشارة إليه، لأنهم ليسوا من أهل ذلك العالَم، ولو أنّ أحداً صار من أهل الآخرة لاشتاق إلى الموت، قال تعالى: ﴿قل يا أيّها الذين هادوا إن زعمتم أنّكم أولياء للّه من دون الناس فتمنّوا الموت إن كنتم صادقين﴾.[1]

قصّة حبيب النجّار

وفي أثناء مواصلة الحديث عن الأنبياء الثلاثة يتعرَّض القرآن الكريم إلى قصّة أُخرىٰ لرجلٍ مؤمن دَفَعه إيمانه إلى أن ينتصر لهؤلاء الأنبياء، ويضمَّ صوته إلى أصواتهم، باذلاً جُهده من أجل تحقيق هدفهم السّماوي المقدّس، وهو الهداية إلى الصراط المستقيم.

يقول تعالى: ﴿**وجاء من أقصا المدينة رجل يسعىٰ، قال يا قوم اتّبعوا المرسلين، إتّبعوا مَن لا يسالكم أجراً وهم مهتدون**﴾.

هؤلاء العظماء الثلاثة لم يتركوا موقعاً في هذه المدينة (انطاكية) إلّا ونشروا فيه الدعوة إلى التوحيد والمعاد، ولكن لم يستجب لدعوتهم ـ كما في بعض الروايات الواردة ـ إلّا أربعون شخصاً أو أكثر، وانتهى بهم الأمر إلى التعليق على أعواد المشانق بصورة تقشعرُّ الأبدان منها، فقد كانوا يأتون بأحد أُولئك المساكين فيثقبون عنقه ثم يدخلون صبراً في الثقب ومن ثم يعلّقونه ويتركونه حتّى يموت بهذه الطريقة البشعة.

---

(١) سورة الجمعة، الآية ٦.

إنتشر خبر القوم وما فعلوه مع الرسُل، فبلغ ذلك مسامع حبيب النجار[1] وهو في أقصى المدينة وكان مؤمناً يُخفي إيمانه، فانطلق هذا العظيم بعد أن شعر أن حياة رسل اللّه في خطر فأسرع كي يخلّص الرسل من جَور القوم.

واللّه تعالى يمدح في هذه الآيات نصير الرسل هذا، ففي رواية عن خاتم الأنبياء (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) قال: «سبّاق الأُمم ثلاثة لم يكفروا باللّه طرفة عين: علي بن أبي طالب وصاحب ياسين (حبيب النجار) ومؤمن آل فرعون (حزقيل) فهم الصدّيقون، وعليٌ أفضلهم.[2]

وصاح هذا المؤمن الموحِّد الشريف وقال: ﴿ياقوم اتّبعوا المرسلين، إتّبعوا مَن لايسألكم أجراً﴾.

أيّها الناس: اتّبعوا الرسل الذين لايسألونكم شيئاً من مال أو سلطان أو شهرة ولا يتطلّعون إلى هدف مادّي في دعوتهم.

وهكذ كان رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) فقد تحمّل أعباء الرسالة ومسؤليّتها وهُمومَها وأتعابها، وتحمّل من الأذى مالم يتحمّله نبي، ولم يطلب أجراً ماديّاً من أحد.. وإنّما أمره اللّه

---

(١) حبيب النجار: قالوا إنما علم هو بنبوّتهم لأنهم لما دعوه قال: أتأخذون على ذلك أجراً. قالوا: لا. وقيل: أنّه كان مصاباً بمرض الجذام، فأبرأوه فآمن بهم.

(٢) تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٣٨٤، تفسير البرهان ج٤ ص٩ ح ٥ وتفسير الكشاف ج٤ ص١٠.

تعالى بقوله: ﴿قل لا أسالكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القُربىٰ﴾[1] وهذا ليس من الأجر المادّي المتعارَف عليه، بل هو أجرٌ معنوي، وهذا الأجر أيضاً يعود خيره على فاعله كما قال سبحانه: ﴿ما سألتكم من أجرٍ فهو لكم﴾ وقال تعالى: ﴿إنْ أحسنتم أحسنتم لأنفسكم﴾ فالمودَّة إلى آل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) تعود على الإنسان بخير الدنيا والآخرة.

إذن: كان أجره لنفسه، فهو الذي ينتفع به لا النبي.

ثم يقول سبحانه: ﴿فهم مهتدون﴾ فالأنبياء والرسل مهتدون وليسوا بحاجة إلى الناس.

* * * *

(١) سورة الشورى، الآية ٢٣.

﴿وَما ليَ لا أعبدُ الذي فَطرني وإليه تُرجَعون(٢٢) ءأتّخِذُ مِن دُونهِ ءالهةً إنْ يُردْنِ الرحمٰنُ بضُرٍّ لا تُغْنِ عنّي شَفاعتُهم شيئاً ولا يُنقِذُون(٢٣) إنّي إذاً لفي ضَلالٍ مُبين(٢٤) إنّي ءامنتُ بربّكم فاسْمَعُونِ(٢٥)﴾.

الإستدلال بالمبدأ والمعاد

هنا نلاحظ أنَّ هذا المؤمن المجاهد ـ وهو حبيب النجّار ـ يذكّر الناس بنقطتين أساسيّتين في كلّ الرسالات السماويّة وهما: المبدا والمعاد. ومعنى المبدا: خَلْق الانسان من العَدم، فالانسان لم يكن ثم كان، فمَن الذي أوجده من العَدم؟؟

مَن الذي فَطَره؟

من الذي خَلقه؟

من الذي مَنحَه الحياة والمواهب والغرائز؟؟

إن التفكّر في هذه الأُمور يسوق الانسان إلى الايمان بالخالق

العظيم.

ونرى ـ هنا ـ أن هذا الداعي المؤمن يبدأ الحديث عن نفسه أوّلاً، فيقول: ﴿ومالي لا أعبد﴾ ولا يقول: وما لكم لا تعبدون.

لأنّ الشروع بالحديث عن النفس أكثر تاثيراً في الناس.

وبعد ذلك يوجّه الخطاب إليهم فيقول: ﴿وإليه تُرجعون﴾.

ما أروع هذا التعبير القرآني!!

لقد جمعَ بين التكلُّم مع النفس ومع الغير في آية واحدة وفي منتهى البلاغة والفصاحة والجمال.

فبعد ما ركّز على المبدأ عطف على المعاد..

يقول لهم: إن المرجع سوف يكون إلى اللّه تعالىٰ، وسوف تخضعون للحساب والسؤال، وتنالون الثواب أو العقاب، فهلاّ فكّرتم؟!

هلاّ خشيتم ذلك اليوم؟!

هلاّ أعددتم أنفسكم لذلك الموقف الرهيب؟!

الخوف والرجاء

﴿وإليه ترجعون﴾ إشارة إلى مرتبة الخوف والرجاء.

فاعلم أيّها الإنسان انك إذا متّ فمرجعُك إلى اللّه تعالى، لذا فعليك ـ إن كنتَ تأمل وترجو الوصول إلى ثوابه وجنّته ـ أن تتعبَّد للّه وتطيعه، فمن رَجا الجنّة سعىٰ إليها بالعمل الصالح ومحاسبة نفسه

وإصلاح عيوبه.

قال أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): لاتكن ممّن يرجو الآخرة بغير العمل.

وقال رجل للامام الصادق (عليه السلام): قوم يعملون بالمعاصي ويقولون نرجو، فلا يزالون كذلك حتّى يأتيهم الموت.

فقال (عليه السلام): هؤلاء قوم يترجّحون في الأماني، كذبوا! ليسوا براجين، إنّ من رجا شيئاً طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه.[1]

وفي حديث آخر عن مولانا أبي عبدالله الصادق(عليه السلام) قال: لايكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولايكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجوه.[2]

امّا بالنسبة للخوف، فمرجعُك إلى خالقك، فاخشه كي لا تقع موقع غضبه وسخطه.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): مَن عرَضتْ له فاحشة أو شهوة فاجتنبها من مخافة الله (عزّوجل) حرَّمَ الله عليه النار، وآمنه من الفزع الأكبر، وانجز له ماوَعده في كتابه في قوله: ﴿ولِمَن خافَ مَقامَ ربّه جنّتان﴾[3].

وقال الإمام الحسين (عليه السلام): لا يامن يومَ القيامة إلّا مَن

---

(١) بحار الأنوار ج٧٠ ص٣٥٧ باب ٥٩ ح٤.

(٢) المصدر نفسه ص ٣٦٥ ح٩.

(٣) بحار الأنوار ج٥٧ ص ٣٦٥ ح١٣.

خاف اللّهَ في الدنيا.[1]

فعندما يرى الانسان تقصيره ويرى الحق سبحانه في منتهى العظمة وسعة الرحمة، تحصل عنده حالة الرجاء المتوازية مع الخوف.

لا خير في عبادة غير اللّه

يقول سبحانه: ﴿ءَأتّخذ من دونه آلهة إنْ يردنِ الرحمٰن بضُرٍّ لا تُغن عنّي شفاعتُهم شيئاً ولا يُنقذونِ﴾.

لماذا أعبد غير اللّه؟

وما هي فائدة غيره سبحانه؟

هل يدفعون الضُرّ عن الإنسان؟!

هل ينفعونه؟!

هل ينقذونه من البلاء؟!

لقد كان أهل انطاكية من الصابئة، يعبدون النجوم والملائكة وقد صنعوا أصناماً على أشكالها وراحوا يعبدونها.

فيقول هذا المؤمن المجاهد: أيّ شيء لي في ترك عبادة اللّه الذي خلقني؟

وكيف أدَع اللّه الرحمن واتّخذ إلهاً غيره؟

وكيف أعبد النجوم والملائكة وهي مخلوقات وموجودات من العَدم؟

---

(١) بحار الأنوار ج٤٤ ص ١٩٢.

ان العبادة يجب أن تكون للخالق القدير الذي أوجدنا من العدم والذي يُميتنا ثم يُحيينا في يوم المعاد.

﴿إنْ يُردْنِ الرحمٰن بضُرّ﴾ فليس باستطاعة تلك الآلهة رفع ذلك الضر مهما تضافرت الجهود ﴿لا تُغْنِ عنّي شفاعتُهم شيئاً ولا يُنقذون﴾.

ثم يقول ذلك المؤمن المجاهد للتأكيد والتوضيح أكثر: إذا عبدتُ هذه الأصنام وجعلتها شريكاً للّه فإنّي ساكون في ضلال وباطل ﴿إنّي إذاً لفي ضلال مبين﴾ فايّ ضلال أوضح من أن يجعل الانسان العاقل تلك الموجودات الجامدة جَنباً إلى جنب خالق السماوات والأرض؟!!

ومن المناسب أن نذكر ـ هنا ـ هذه القصّة الرائعة التي يتجلّى فيها الإيمان بالخالق العظيم: ذكروا أنَّ عالماً جليلاً موحِّداً حضره الموت، فجاء سلطان ذلك الوقت لعيادته وساله عن أحواله فقال: إنّ رحيلي لوشيك.

قال السلطان: سلني حاجتك؟

قال: ليس بوسعك عمل ما أنا بحاجة إليه!

قال السلطان: سمعتُ أنَّ وراءك بنات صغيرات، فاستودِعْني إيّاهن اجعلهنّ في حرمي.

قال: وكيف أستودعك إياهنّ وخالقهنّ موجود؟! وهَبْ أنك مت قبلهنّ فماذا يسعك أن تفعل؟!

﴿ءَاتّخذ من دونه آلهة﴾ أمع وجود اللّه أتّخذ غيره معتَمداً لي، ومعقدَ أملي ورجائي؟!

ولهذا نرى أن الإمام الحسين (عليه السلام) حين ودَّع نساءه وأطفاله قال: (اللّه خليفتي عليكم)!

فمن عقَد رجاءه وأمله علىٰ اللّه كان اللّه سبحانه عند أمله ورجائه، ومَن عقد أمَله ورجاءه علىٰ غير اللّه.. على المال أو السلطان أو الجاه أو الصاحب فهو في ضلال مبين وسوف يخيب أمله وظنُّه، وتكون عاقبته إلى الخسران والحرمان.

شهادة حبيب النجار

عندما انتهى هذا المؤمن المجاهد من إستعراض تلك الإستدلالات المنطقية والتبليغات المؤثِّرة، أخذ قومه يركلونه بأرجلهم حتى خرجت أحشاؤه من بطنه ثم خنقوه وألقوه في بئر وسدُّوا بابه.

وفي رواية أُخرى أنهم نشروا جَسَده بالمنشار نصفين، بدءً من رأسه، وأنهم حين هجموا عليه وأدرك أنه مقتول لا محالة، التفت إلى الرسُل وقال:

﴿إنّي آمنتُ بربّكم فاسْمَعُونِ﴾ وكان هذا التصريح بإيمانه آخر كلامه عندما قال ﴿فاسمعون﴾ ثم فارق الحياة وحَلَّقتْ روحُه الطاهرة إلى الجنان الواسعة حيث الحياة الأبديَّة والنعيم الخالد والخير الدائم، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

* * * *

﴿قيلَ ادخلِ الجنّة قال ياليتَ قَومي يَعلمونَ(٢٦) بما غَفَرَ لي ربّي وجَعلَني منَ المُكْرَمين(٢٧) وما أنزلنا عَلىٰ قومه مِن بعده مِن جُندٍ مِن السماء وما كنّا مُنْزِلين(٢٨) إن كانتْ إلاّ صيحةً واحدةً فإذا هم خامدون(٢٩)﴾

الجنّة تستقبل الشهيد

سبق وأن ذكرنا أن حبيب النجّار أيّد الرسل ونصح قومه وأراد لهم الخير، ولكنَّهم بَدَل أن يستمعوا له هجموا عليه، وفعلوا به مافعلوا ولم يكن له ذنب سوى أنه أخذ جانب الحق وكان لهم ناصحاً.

وما أن قُتل هذا المحامي المخلص إلاّ وجاء النداء إلىٰ روحه الشريفة: ﴿قيل ادخلِ الجنّة﴾ جاء أمر الرحمة الإلهيَّة بدخوله إلى الروضة الفيحاء ـ وهي جنّة البرزخ ـ.[1]

---

(١) جنّة البرزخ: فترةٌ تبدأ من اللّحظة التي يموت فيها الإنسان حتّى القيامة، وقد أشار إليها القرآن بقوله: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ سورة المؤمنون، الآية١٠٠.

كما عبَّر عنها الإمام الصادق (عليه السلام) ـ في رواية أخرى ـ بالجنّة الدنيويَّة، وهي أقلُّ مرتبة من جنّة القيامة.

وعلى كل حال فإنَّ ظاهر الآية الشريفة يدلّ على أن مؤمن آل فرعون بمجرَّد أن استُشهد دخل الجنَّة البرزخية، فرأى نِعَم ربّه وما أعدَّه الله للشهداء الصالحين، فـ: ﴿قال ياليت قومي﴾ المنغمسين في غفلتهم وانشغالهم بالمادَّة واستلامهم للشهوات ﴿يعلمون﴾ بما فزرتُ به من فضل الله بعد الموت، ليتهم يعلمون أيَّ إكرام واحترام يناله المؤمنون، ويعلمون ﴿بما غَفَر لي ربّي وجعلني من المكْرَمين﴾.

وهذا القول تشويقٌ لنا ولكم كي نتّبع سبيلَ المكرمين.

أيها الناس: يجب علينا أن نعدَّ جنّتنا البرزخية من هنا قبل أن يدعونا الله إليه، ونعمل مافيه ضمان لحياتنا بعد موتنا، وننتفع من الجسم والمال والقلب بما يرضى الله، حتّى إذا حلّت لحظة الموت وجاء أمير المؤمنين (عليه السلام) للقائنا[1]، كان لدينا الشوق للقاء المحبوب، فتسلم الروح بإطمئنان وسعادة بعد أن تكون قد زهدت بكل شيء:

الثواب والعقاب البرزخي

الأخبار الواردة في موضوع الثواب والعقاب في عالم البرزخ كثيرة ونكتفي في هذا المقام بذكر بعض منها: فقد ورَد عن الإمام

(١) كما ورد في أحاديث متعدّدة تصرّح بأن الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) يحضر عند الميّت ساعة خروج الروح، راجع بحار الأنوار ج٦ ص١٦٢ ج٣١ وباب ٧ ص١٧٣.

أميرالمؤمنين علي (صلوات اللّه عليه) أنه قال: «إن ابن آدم إذا كان في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة مَثُلَ له أهله وماله وولده وعمله فيلتفت إلى ماله فيقول: واللّه إني كنت عليك لحريصاً شحيحاً فمالي عندك؟

فيقول: خُذ مني كفَنك. فيلتفت إلى ولده فيقول: واللّه إني كنت لكم مُحبّاً وإنّي كنت عليكم مُحامياً فماذا لي عندكم؟

فيقولون: نؤدّيك إلى حُفرتك ونواريك فيها. فيلتفت إلى عمله فيقول: واللّه إني كنت فيك لزاهداً وإنك كنتَ عليَّ لثقيلاً، فماذا عندك؟

فيقول: انا قرينك في قبرك ويوم نشرك حتى أُعرَض انا وانت على ربِّك، فإن كان للّه وليّاً أتاه أطيبُ الناس ريحاً وأحسنهم مَنظراً وأحسنهم رياشاً[1] فيقول: أبشر برَوح من اللّه وريحان وجنّة نعيم، قد قدِمْتَ خير مَقدم، فيقول: مَن أنت؟ فيقول: أنا عَملك الصّالح، إرتحل من الدنيا إلى الجنّة، وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجّله، فإذا دخل قبره أتاه مَلكا القبر يجرّان أشعارهما ويخدّان الأرض بأقدامهما، وأصواتُهما كالرَّعد القاصف، وأبصارُهما كالبرق الخاطف، فيقولان له: مَن ربُّك ومَن نبيُّك وما دينك؟

فيقول: اللّه ربّي ومحمّدٌ نبيِّي والإسلام ديني. فيقولان: ثبَّتك اللّه فيما تحبُّ وترضىٰ، وهو قوله (عزّوجل): ﴿يُثبّتُ اللّه الذين آمنوا

---

(١) الرياش: اللباس الفاخر.

بالقول الثابت في الحياة الدنيا﴾[1] فيفسحان له في قبره مَدَّ بَصَره ويفتحان له باباً إلى الجنّة ويقولان: نَمْ قريرَ العين نومَ الشاب الناعم، وهو قوله: ﴿أصحابُ الجنّة يومئذ خيرٌ مستقرّاً وأحسنُ مقيلاً﴾.

وإن كان لربِّه عدوّاً فإنه يأتيه أقبح خَلق اللّه زيّاً ورؤياً وأنتنه ريحاً فيقول له: أبشر بنُزُل من حميم وتصلية جحيم[2] وإنه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يحبسه، فإذا أُدخل قبره أتياه ممتحنا القبر فألقيا عنه أكفانه ثم قالا له: مَن ربُّك ومَن نبيُّك وما دينك؟

فيقول: لا أدري، فيقولان له: ما دَريتَ ولا هديت، فيضربانه بمرزبة[3] ضربةً ما خَلق اللّه دابّةً إلّا وتذعر لها ما خلا الثقلان، ثم يفتحان له باباً إلى النار ثم يقولان له: نَمْ بِشرِّ حال، فيكون من الضيق مثل ما فيه القنا من الزَّج[4] حتى أن دماغه ليخرج من بين ظفره ولحمه، ويسلط اللّه عليه حيّات الأرض وعقاربها وهَوامَّها تنهشه، حتى يبعثه اللّه من قبره، وأنه ليتمنّى قيامَ الساعة ممّا هو فيه من الشرّ».[5]

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٦.

(٢) النُزُل: ما يُعدُّ للضيف. الحميم: مايُسقىٰ لأهل النار.

(٣) المرزبة: عصا كبيرة من حديد.

(٤) القنا ـ جمع القناة ـ وهي الرمح، الزج: الحديدة التي في أسفل الرمح.

(٥) الكافي ج٣ ص ٢٣١ باب ان الميت يُمثّل له ماله وولده.

نزول العذاب على قتلة حبيب النجّار

قال تعالى: ﴿وما انزلنا على قومه من بعده مِن جُندٍ من السماء وما كنّا مُنْزلين، إنْ كانت إلاّ صيحةً واحدةً فإذا هم خامدون﴾.

بعد مقتل حبيب النجّار غضب اللّه على أولئك القوم وشاءت إرادة المولى (عزّوجل) في الإنتقام من أولئك الضالّين، لأنّ المؤمن ـ وعلى الأخص المؤمن المتّصف بالكمال ـ عزيز على اللّه، وقتلهُ امر في غاية الخطورة، واللّه الكريم يكشف عن إنتصاره لحبيب النجّار، فكأنّه يقول: بعد أن قتلوا عبدنا المخلص لم نرسل عليهم جيشاً من السماء، إذ هم أحقر من ذلك وليسوا على هذا القدر من الأهميَّة، فإنّما هي صيحة واحدة وقضي الأمر.

تقول الرواية: وَرد الأمر إلىٰ جبرائيل بأن يصدر عليهم صيحة واحدة، ففعل وكان فيها هلاكهم! يقول (عزّوجل): ﴿إن كانت﴾ اي ماكانت كيفيّة إهلاك أولئك القوم ﴿إلاّ صيحة واحدة﴾ صاح بهم الملك، أو خلق الصيحة في الفضاء ﴿فإذا هم خامدون﴾ اي ساكنون قد ماتوا ـ من الخُمود ضد الإشتغال ـ كأنَّهم قد أطفأت شمعة حياتهم علىٰ أثر الصيحة.

ماذا كانت تلك الصيحة؟

اللّه وحده يعلم، لعلّها كانت صيحة تقتلع القلب من موضعه، أو تسدُّ الحلقوم فتغلق مجاري التنفُّس أو تحمل من الهول ما لا طاقة للإنسان علىٰ تحمّله، أيّاً كانت فإنّها لم تكن سوىٰ صيحة لم تتجاوز اللّحظة الخاطفة في وقوعها، صيحة أسكتت جميع الصيحات،

وأوقفت كلّ شيء عن التحرّك فأصبحت بيوتهم قبوراً لأجسامهم.

هكذا هي قدرة اللّه سبحانه وتعالى، وهذا هو مصير قوم ضالّين لا نفع فيهم.

وقيل: إنّهم لمّا قتلوا حبيب بن مري النجّار غضب اللّه عليهم فبعث جبرائيل حتّى أخذ بعُضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم، لايُسمع لهم حِسّ، كالنار إذا طُفئت.[1]

هذا.. ومن بركات رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) الجارية المستمرَّة أنّ اللّه تعالىٰ أعطى الأمان للناس من العذاب الإلهي وتوقَّف هذا النوع من البلاء ببركة خاتم الأنبياء رسول الرحمة الذي يقول اللّه تعالى له: ﴿وما أرسلناك إلّا رحمة للعالمين﴾.[2]

البلاء الإستئصالي العام موقوف، غير أن بعض العمليّات التاديبيَّة تجري في بعض الأحيان ـ كما نراه الآن في بعض الدول ـ وذلك للايقاظ من نوم الغفلة وللعودة إلى طاعة اللّه سبحانه.

* * * *

---

(١) مجمع البيان ج٨ ص ٢٣٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

﴿يا حَسْرةً على العبادِ ما ياتيهمْ مِنْ رسولٍ إلاّ كانوا بهِ يَستَهْزءون(٣٠) ألم يَرَوا كم أهلكْنا قَبْلَهم من القُرون أنّهم إليهم لايَرْجِعُون(٣١) وإنْ كلٌ لّما جميعٌ لدينا مُحْضَرون(٣٢) وآيةٌ لهم الأرضُ الميْتةُ أحيَيناها وأخرجنا منها حَبّاً فمنهُ ياكلون(٣٣) وجعلنا فيها جَنّاتٍ مِن نَخيلٍ وأعنابٍ وفَجَّرنا فيها مِن العُيون(٣٤) لياكلوا مِن ثَمَره وماعَمِلتْه أيديهم أفلا يَشكُرون(٣٥)﴾.

الحسرة والندامة في الآخرة

﴿يا حسرة على العباد ما ياتيهم من رسول إلاّ كانوا به يستهزؤن﴾.

هذا بيان وتفسير للسبب الموجب للحسرة ـ والحسرة هي الندامة ـ فعندما تنكشف حقيقة حال الإنسان في عالم البرزخ ويو م القيامة

وتنكشف الحقائق ويبرز ماكان خافياً، سيرى المشركون ـ الذين كانوا يهزأون بالرسل ويسخرون منهم ومن دعوتهم ـ أيَّ أسف وندم يحلاّن بهم، فتقول الآية: ﴿يا حسرةً على العباد مايأتيهم من رسول إلاّ كانوا به يستهزؤن﴾ أي واأسفاه على العباد في الآخرة باستهزائهم بالرسل في الدنيا عندما أغلقوا نافذة الرحمة الإلهية عليهم وكسروا مصباح الهداية. هؤلاء الضالّون المحرومون من السعادة لم يصغوا لنداء قادة البشرية فحسْب بل أنهم قد أصرُّوا على السُخريَّة والإستهزاء بهم، ثم بادروا إلى قتلهم، مع أنهم قد علموا ماذا كان المصير المشؤُم للطغاة من قبلهم كقوم نوح إذ كانوا يضعون أصابعهم في آذانهم كي لايسمعوا صوت الحق[1].

وفي العصر الحاضر كذلك نرى من يمتنع عن دخول المسجد حذرَ سماعه موعظةً لا ترضيه.

أيها الغافل ستكون الحسرة عاقبة للجميع إلاّ أولئك الذين عرفوا في هذه الدنيا قدر دعوة الأنبياء.

فيا حسرة عليهم حين يعرفون حقيقة مقاماتهم وسموّ شأنهم.

ياحسرة عليهم حين يكتشفون كيف يجزي اللّه اساءاتهم بإحسانه بل ويزيد فيه، فياويلتاه للإنسان حينما تنكشف الحقيقة!!

وقد روي أن في الموقف الأول من مواقف يوم القيامة تصيب الناس حالة من الحيرة والبهت وتلازمهم مدّة أربعين سنة، ثم تأتيهم حالة الخجل الشديد. وإن العبد في هذا الموقف يتصبَّب عَرَقاً مِن شدَّة

(١) كما قال تعالى: ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ سورة نوح، الآية ٧.

الخجل فيتمنّى لو يسوقوه إلى جهنّم ليتخلّص من هذا الموقف الحَرِج.

ضرورة الإعتبار بالأُمم الماضية

﴿ألم يروَا كم أهلكنا قبلهم من القرون﴾ أي انظروا إلى الّذين سخروا بأنبياء اللّه ماذا حَلَّ بهم من البلاء والعقاب، كعاد وثمود وقوم لوط، ها أنتم تشاهدون آثارهم في أسفاركم، فلماذا لا تعتبرون؟!

﴿أنّهم إلينا لا يرجعون﴾ فقد هلكوا وبادوا ولم تبق منهم باقية، فلماذا لا تعتبرون؟!

﴿وإنْ كلٌّ لمّا جميع لدينا مُحْضَرون﴾ كلّ الناس موقوفون غداً بين يدي اللّه للحساب وجزاء الأعمال.

أي أن المسألة لا تنتهي بهلاكهم وعدم استطاعتهم من العودة إلى هذه الدنيا فحسب بل ان الموت هو بداية الشوط فعاجلاً سيحضر الجميع في عرصة المحشر للحساب ثم يكون العقاب الإلهي المتلاحق والمستمرّ، فلا هروب من موقف الحساب، فكلُّهم مُحاصَرون.[1]

نماذج من قدرة اللّه تعالىٰ

﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّاً فمنه ياكلون﴾.

إنّ قضيّة إحياء الأرض الميتة تعتبر ـ من جانب ـ دليلاً على وجود

---

(١) كما قال سبحانه: ﴿قل إنّ الأوّلين والآخِرينَ لمجموعون إلى ميقاتِ يومٍ معلوم﴾ سورة الواقعة، الآية ٤٩ ـ ٥٠.

قوانين دقيقة سُخِّرت في خلق هذا العالم، ومن جانب آخر تعتبر دليلاً على البعث بعد الموت.

فحبَّة القمح الواحدة تصبح سنبلة تتراكب فيها سبعون حبّة إلى سبعمائة.

إنّه عرض للقدرة الإلهيَّة، تبيّن للإنسان قدرة المدبِّر اللامحدودة.

وعند زرع نواة تمر واحدة، تتحوَّل إلى نخلة لها فروع وأوراق، تحمل المئات من حبّات التمر ولكلّ واحدة نواتها. إنه إستعراض للقدرة الإلهيّة كذلك.

إنّ مَن خَلَقَ القمح خَلَقَ لنا الأسنان لكي ناكل بها، ومَن وهبنا حاسَّة الذوق أودع في التمر حلاوته، وهذه الحلاوة ماهي إلاّ ذرّة من أصل اللذّة التي ادُّخرت في العالم العُلوي.

واعلم أيّها العاقل انّ هذه النواة عند زراعتها في الأرض بعد مدّة من وصول الماء إليها، لتطل برأسها من التراب وهي خضراء فتتّجه صعوداً إلى الأعلىٰ مكوِّنة المجموع الخضري والنصف الآخر يتّجه نزولاً مكوّنة المجموع الجذري.

محلّ شاهدنا هنا هو أنه بعد تلاشي النواة من حالتها الأُولىٰ مَن الذي أعادها إلى الحياة ثانية؟

أليس اللّه سبحانه وتعالى؟

إنّ هذا تماماً هو ما يجري لأجسامنا بعد موتها وتحلّلها، فتعود الحياة لتدبّ في ذرّاتها المتفرّقة بعد أن يأتي النداء الإلهي لقيام الساعة وبعد أن تُنفخ نفخة الإحياء.

﴿فمنه يأكلون﴾ لعلّ حرف «من» في هذه الآية إشارة إلى أن الإنسان يستفيد من بعض الحبوب بينما بعضها غير قابل للأكل فيكون من نصيب الحيوانات والطيور.

والآية التالية توضّح كيفيّة إحياء الأرض الميّتة دون أن يُقرن ذلك بذكر المطر فتقول:

﴿وجعلنا فيها جنّاتٍ من نخيل وأعناب وفجَّرنا فيها من العيون﴾.

الحديث هنا عن الفواكه المقوّية والمغذّية والتي يُعدُّ التمر والعنب أبرز وأهم نماذجها، لما تحتويه من الفيتامينات والموادّ الحيويّة المختلفة واللازمة لجسم الإنسان. والمعنىٰ: أُنظر أيّها الإنسان إلى الأرض كيف جعلنا فيها البساتين التي تطالعنا بما تحويه من ثمار النخيل والأعناب وأجرينا فيها العيون كي ينعم الناس بما تحمله لهم من ثمار ومايستخرجونه منها بأيديهم.

﴿ليأكلوا مِن ثَمَرِه وما عملتْه أيديهم أفلا يشكرون﴾.

إنّ هذه الآية الكريمة توضح الهدف من خلق تلك الأشجار المباركة المثمرة وأنها مخلوقة للإنسان، فمثلاً: العنب خلقه اللّه تعالىٰ، والإنسان إمّا يجنيه فيأكله مباشرة أو أنه يعصره ليستخرج منه شراباً طاب طعمه أو خلاً هو طعام الأنبياء.

﴿أفلا يشكرون﴾ فينبغي للإنسان أن يعرف حقَّ المُنعم عليه ويَشكر اللّه أكثر من شكره لغيره ويجب الخضوع للمُنعم، للّه العظيم، وأن يعلم أنه إن لم يشكر اللّه (عزّوجل) على نعمته واستخدمها في معصيته فسوف يسلبها منه وينزل عليه البلاء.

بالشكر تدوم النعم

كما قال (عزّوجل): ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم، ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد﴾[1].

وقال الإمام الصادق (عليه السلام): شكر كلِّ نعمةٍ ـ وإنْ عظُمتْ ـ أن تحمد اللّه (عزَّوجل) عليها.[2]

إليكم قصّة قصيرة في باب الشكر: روي عن رجل متعبّد شغلتْه العبادة سنوات، أنه رأى في عالَم الرؤيا أن إرادة اللّه تعالى شاءت أن يكون فقيراً نصف عمره وغنيّاً في النصف الآخر، وأن عليه أن يختار أيَّهما يريد أوّلاً.

قال الرجل ـ في الرؤيا ـ: إنّ لي زوجة صالحة عاقلة أُريد أن أستشيرها.

قالت الزوجة: أرىٰ أن تختار الغنىٰ في النصف الأوّل من عمرك.

وفي اليوم التالي بدأت النعم تنهال على الرجل بكثرة.

قالت الزوجة لزوجها: لا تنسى أن اللّه وعدك بالعطاء، على أن تُنفق ممّا أنعم عليك.

فَوافقَ الرجل علىٰ كلام زوجته وراح ينفق مما أعطاه اللّه، حتى تصرّم نصف عمره ولم يحلّ الفقر به، طِبقاً لرؤياه، ولمّا تساءل عن علّة

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٧.

(٢) بحار الأنوار ج٧١ ص ٤١ ح٣ والكافي ج١ ص ٩٥ ح١٠.

ذلك أتاه الرَّد يقول: لقد شكرت فزدناك ﴿لئن شكرتم لأزيدنّكم﴾.

نستفيد من هذه القصة أن شكر اللّه كان على نعمتين أولها: نعمة المال، ويكون ذلك بالإنفاق فيما يُرضي اللّه.

وثانياً: نعمة الزوجة الصالحة المحبّة التي تشجّع زوجها على طاعة اللّه سبحانه والقيام بالأعمال الصالحة التي تعود على الإنسان بخير الدنيا وسعادة الآخرة.

قال الإمام الصادق (عليه السلام): ما أنعمَ اللّهُ على عبدٍ من نعمةٍ فعرفها بقلبه وحَمَد اللّه ظاهراً بلسانه فتمَّ كلامه حتى يؤمَر له بالمزيد.[1]

وروي أن اللّه تعالىٰ أوحى إلى أحد أنبيائه: اشكرني حقَّ شكري.

فقال: إلٰهي كيف أشكرك حقَّ شكرك، وشكري إيّاك نعمة منك؟

فقال: الآن شكرتني حقَّ شكري.

وروي أن داود (عليه السلام) قال ـ في مناجاة اللّه تعالىٰ ـ: كيف كان آدم شَكرك حقَّ شكرك وقد جعلتَه أباً لأنبيائك وصفوتك، وأسجدت له ملائكتك؟

فقال: إنه اعترف أن ذلك من عندي، فكان اعترافه بذلك حقّ شكري.

* * * *

(١) الكافي ج١ باب الشكر ص ٩٥ ح٩ وقريب منه في البحار ج ٧١ ص٤٢.

﴿سبحانَ الذي خَلَق الأزواجَ كلَّها ممّا تُنبتُ الأرضُ ومن أنفسهم وَممّا لا يعلمون(٣٦) وآية لهم الليل نَسلخُ منه النهارَ فإذا هم مُظلِمُون(٣٧) والشمسُ تجري لمستقَرٍّ لها ذلك تَقديرُ العزيزِ العَليم(٣٨) والقمرَ قدَّرناهُ مَنازلَ حتّىٰ عادَ كالعُرجُونِ القديم(٣٩)﴾.

قانون الزوجيَّة في الموجودات

﴿سبحان الّذي﴾ خلق كلَّ هذه الأزواج في هذا العالَم الواسع، لا حدّ لعلمه وقدرته، وهو منزّه عن كلّ نقص وعَيب، لذا فلا شريك ولا شبيه له.

﴿خلق الأزواج كلّها ممّا تنبت الأرض﴾ من أنواع النباتات ﴿ومن أنفسهم﴾ أي من أنفس تلك الأزواج ذاتها ﴿وممّا لا يعلمون﴾ أي ممّا لم يبلغه إدراك الإنسان.

أمّا: ما هو المقصود من «الأزواج» هنا؟ فليس من المستبعد أن يكون المعنى هو جنس المذكّر والمؤنّث، والقرآن الكريم يخبر ـ من خلال هذه الآية ـ عن وجود ظاهرة الزوجيَّة في جميع عوالم النبات والإنسان والحيوان والموجودات الأُخرى التي لم يطَّلع عليها البشر، وهذه الموجودات يمكن أن تكون النباتات التي لم تحدّد سعة دائرة الزوجيّة فيها حتى الآن، أو إشارة إلى الحيوانات التي تعيش في أعماق البحار أو إشارة إلى موجودات تقطن كواكب أُخرىٰ في هذا الكون أو موجودات حيّة لاتُرىٰ بالعين المجرّدة.

على كلّ حال فإنّ هذه الآية الشريفة توضّح أنّ نظام الخلق كلّه قائم على الزوجيَّة، وليس هذا وقفاً على الحيوان والنخيل فقط، بل إنّ الأشجار كلّها بحاجة لوصول أثر من الذكر إلى الأُنثى، حيث توجد وسائط كثيرة لنقل اللقاح مثل الحشرات والمياه والطيور وكذلك الرياح حيث تحمل اللقاح من فحل الشجر إلى أنثىٰ الشجر.

ثم ذكر سبحانه آيات كونيّة تدلّ على قدرته وعظمته وهي:

الليل والنهار آيتان من قدرة اللّه تعالىٰ

﴿وآية لهم الليلُ نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾،

تتجلّىٰ قدرة اللّه سبحانه في مخلوقاته، ومنها: الليل والنهار.

ترى: كيف يحدث الليل والنهار؟

الجواب: يتعاقب الليل والنهار نتيجة لكرويّة الأرض ودَوَرانها حول نفسها وحول الشمس تماماً كدوَران الرّحىٰ، وجانب الأرض

الذي يحاذي الشمس حين الدَوَران يصير نهاراً، وغير المحاذي يصير ليلاً، فإذا تجاوز عن الشمس ماكان محاذياً لها بسبب الدوَران وحلّ محلّه الجانب الآخر الذي كان ليلاً، انعكس الأمر، فيصير ماكان ليلاً نهاراً، وماكان نهاراً يصير ليلاً، وهكذا دواليك، وقد عبّر سبحانه عن هذا بالإنسلاخ. وأسنده إليه لأنّه خالق الكون ومسبِّب الأسباب.

قوله تعالىٰ: ﴿نسلخ منه النهار﴾ أي ننزع ونخرج منه ضوء الشمس فيبقىٰ هواء مظلم، كما كان، لأنّ اللّه سبحانه وتعالى يُضيء الهواء بضياء الشمس فإذا سلخ منه الضياء وأزاله بقي مظلماً.[1]

وقيل: إنّما قال سبحانه وتعالى ﴿نسلخ منه النهار﴾ لأنّه تعالى جعل الليل كالجسم لظلمته وجعل النهار كالقشر، ولأنّ النهار عارض فهو كالكسوة والليل أصل فهو كالجسم.[2]

﴿فإذا هم مظلمون﴾ هنا يشير القرآن الكريم إلى ظلمة الليل، فلو أنَّ تلك القدرة القاهرة لم تحرّك الكرة الأرضيّة ـ أي كان النهار مثلاً دائمَ الوجود ـ لما أمكن الحصول على منافع الليل، ولو أن الشمس ـ مثلاً ـ بقيتْ أربعاً وعشرين ساعة توجّه وتركّز أشعّتها على نقطةٍ واحدةٍ لأحرقتها.

الآية التالية تتعرّض إلى الشمس والنور والإضاءة فتقول:

﴿والشمس تجري لمستقرّ لها﴾ ذكر كبارُ علماء الفَلك المعاصرين ان الشمس تجري بسرعة ١٢ميلاً في الثانية، غير دَورانها حول نفسها

(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٤٢٤.

(٢) المصدر نفسه.

وأنها تختلف عن حال دوران الأرض حيث تجري ومعها منظومتها نحو كوكب عظيم يقال له النسر يسمى (فيغا) فإذا ما بلغت ذلك الكوكب إنتهى عمر المنظومة الشمسيّة وعندها تقوم القيامة فعندما تتوقّف الشمس عن الجريان وينفذ إشعاعها، فهي مِثلنا، إذا بلغت أعمارُنا النهاية فإنّ آثار الحياة تنتهي أيضاً. وهذا الجريان لن يستمرّإلى الأبد، بل إلى أن تبلغ الشمس مستقرَّها.

﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾.

هذا هو تقدير وتنظيم (اللّه) الغالب العليم، الغالب على كل مقدور، وعلى تنظيم أُمور المخلوقات، والعليم بها علماً تفصيلياً بالغاً.

قال تعالى: **﴿والقمر قدَّرناه منازل﴾**.

تتحدَّث الآية عن حركة القمر ومنازله التي تؤدّي إلى تنظيم أيّام الشهر.

والمقصود بـ«المنازل» تلك المستويات الثمانية والعشرون، وهي مرتّبة من أول بُرج الحَمل إلى آخر بُرج الحوت التي يطويها القمر قبل الدخول في (المحاق) والظلام المطلق، لأن القمر يمكن رؤيته في السماء إلى اليوم الثامن والعشرين ولكنه يكون في ذلك اليوم هلالاً مائلاً لونُه إلى الإصفرار ويكون نوره قليلاً وشعاعه ضعيفاً جدّاً، وفي الليلتين الباقيتين من الثلاثين يوماً تنعدم رؤيته تماماً ويقال انّه في دور (المحاق).

ذلك إذا كان الشهر ثلاثين يوماً.

أمّا إذا كان تسعة وعشرين يوماً فإنّ نفس هذا الترتيب سيبدأ من الليلة السابعة والعشرين ليدخل بعدها القمر في (المحاق) بحيث يستطيع

الإنسان بنظرة واحدة أن يحدّد بدقّة ـ أو بشكل تقريبي ـ أيَّة ليلة هي تلك الليلة، وبهذا يعرف حساب أيّام الشهر.[1]

﴿حتّى عاد كالعُرجون القديم﴾ أي عاد في آخر الشهر دقيقاً كالعِذق اليابس العتيق، ثم يختفي يومين آخر الشهر.

وإنّما شبَّهه سبحانه بالعذق، لأنه إذا مضت عليه الأيام جفَّ وتقوَّس فيكون أشبه الأشياء بالهلال وقيل: إن العذق يصير كذلك في كلّ ستّة أشهر.

روى علي بن إبراهيم بإسناده قال: دخل أبو سعيد المكاري على الرضا (عليه السلام) فقال له: أبَلَغ اللّه من قدرك أن تدَّعي ما ادَّعىٰ أبوك!![2]

فقال له: ما لك أطفأ اللّه نورك وأدخل الفقر بيتك؟! أما علمتَ أن اللّه تبارك وتعالىٰ أوحى إلى عمران اني واهب لك ذكراً، فوهَب له مريم ووهب لمريم عيسى فعيسى مِن مريم ومريم من عيسى وعيسى ومريم شيء واحد، وأنا من أبي وأبي منّي، وأنا وأبي شيء واحد.

فقال له أبو سعيد: فأسألك عن مسألة؟

فقال: لا اخالُك تقبل منّي، ولستَ من غنمي ولكن هلمَّها.

فقال: رجل قال عند موته: كلّ مملوكٍ لي قديم فهو حُرّ لوجه اللّه تعالى.

---

(١) كما قال تعالى: ﴿لتعلموا عددَ السنينَ والحساب﴾ سورة يونس، الآية ٥.

(٢) كان هذا الرجل من الأعداء النواصب ولهذا خاطب الإمام بهذا النوع من الكلام، وجاء ردُّ الإمام (عليه السلام) صارماً، ليوقفه عند حدِّه.

فقال: نعم إنّ اللّه (عزّوجل) يقول: ﴿حتّىٰ عاد كالعُرجون القديم﴾ فما كان من مماليكه أتى له ستّة أشهر فهو قديم حُرّ.

قال: فخرج وافتقر حتّى مات ولم يكن له مبيت ليلة (لعنه اللّه).[1]

* * * *

(١) تفسير البرهان ج٤ ص ١٠ ح٣ وتفسير نور الثقلين ج ٤ ص٣٨٦ ح٥٠.

﴿لا الشمسُ ينبغي لها أنْ تُدركَ القمرَ ولا اللَّيلُ سابقُ النّهار وكلٌّ في فَلَكٍ يَسْبَحُون(٤٠) وآيةٌ لهمْ أنّا حَمَلْنا ذريَّتهم في الفُلكِ المشْحُون(٤١) وخَلَقنا لهم مِنْ مِثلِه مايَركَبون(٤٢) وإنْ نشا نُغرقهم فلا صَريخَ لهم ولا هم يُنقَذون(٤٣) إلاّ رحمةً مِنّا ومَتاعاً إلى حِين(٤٤)﴾.

نظام الشمس والقمر

﴿لا الشمسُ ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكلٌّ في فلك يسبحون﴾.

نحن نعلم أن الشمس تطوي في دَورانها خلال العام إثني عشر شهراً، في حين أن القمر يطوي منازله خلال شهر واحد، وعليه فحركة القمر أسرع من حركة الشمس في مدارها إثنى عشر مرَّة، لذا فإنّ الشمس بحركتها لايمكن أن تدرك القمر في حركته فتقطع في شهر

واحد ماتقطعه في سنة واحدة.

روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) ـ في تفسير هذه الآية ـ: إنّ الشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل لاينبغي للشمس أن تكون مع ضوء القمر بالليل، ولا يسبق الليل النهار، يقول لا يذهب الليل حتّى يدركه النهار.[1]

وروى العياشي في تفسيره بالإسناد عن الأشعث بن حاتم، قال: كنت بخراسان حيث إجتمع الرضا(عليه السلام) والفضل بن سهل والمأمون في إيوان الحبري بمرو، فوضعت المائدة فقال الرضا(عليه السلام): إنّ رجلاً من بني إسرائيل سألني بالمدينة فقال: النهار خُلق قبل أم الليل؟ فما عندكم؟

قال: فأداروا الكلام فلم يكن عندهم في ذلك شيء. فقال الفضل للرضا: أخبرنا بها أصلحك اللّه.

قال: نَعم، من القرآن أم من الحساب؟

قال له الفضل: من جهة الحساب.

فقال: قد علمتَ يافضل أنّ طالع الدنيا السرطان، والكواكب في مواضع شرفها فزحل في الميزان، والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور، فذلك يدلّ على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط السماء، فالنهار خُلق قبل الليل، وفي قوله تعالى ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر، ولا الليل سابق

---

(١) تفسير البرهان ج٤ ص ١١ ح١.

النهار﴾ أي قد سبقه النهار.

ثم قال: ﴿وكلٌ﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿في فَلك يسبحون﴾ يسيرون فيه بانبساط، وكلُّما انبسط في شيء فقد سبح فيه، ومنه السباحة في الماء، وإنّما قال: (يسبحون) بالواو والنون كما أضاف إليها ماهو من فعل الآدميّين كما قال: ﴿مالكم لا تنطقون﴾ لما وصفها بصفةِ من يعقل.

وقال ابن عبّاس: يسبحون أي: يجري كلّ واحد منها في فلكه كما يدور المغزل في فلكه.[1]

وروي أنه قام الإمام السجّاد (عليه السلام) سَحَراً للتهجُّد في الليلة الرابعة عشر من الشهر.

وحين وضع يده المباركة في وعاء للوضوء رفع رأسه فوقع نظره على القمر فأبقى رأسه مرفوعاً حتّى قال المؤذّن: اللّه أكبر.[2]

جاء في الدعاء: «يا من في السماء عظمته» انظر فإنّك ترىٰ عظمةَ اللّه تتجلّىٰ في السماوات والكواكب العظيمة التي تدعو للحيرة حقّاً.

---

(١) مجمع البيان ج٨ ص٤٢٥، والقسم الأول من الرواية موجود في البرهان ج٤ ص١١.

(٢) قال تعالى: ﴿إنّ في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأُولي الألباب﴾ سورة آل عمران، الآية ١٩٠.

تطابق الآفاق والأنفس

يقول أميرالمؤمنين (عليه السلام):

أتـزعـم أنّـك جِـرم صـغـيـر وفيك انطوى العالم الأكبر؟

كلّ مـا هو مـوجـود في العـالَم الخـارجي مـوجـود في الـنفس الإنسانيـة، ففي وجود الإنسـان ذاته يتمثّل النهـار والليل وهذا يظهر في جـهاز الدورة الدمويّة في الجسَـد ففي القلب تجري تصفيـة الدم الذي يجري نظيفاً صافياً في الشرايين كالنهار منتشراً في أجزاء الجسم كافّة ثم يعـود دم أسود من كلّ جـزء وصَـل إليـه حـاملاً مـعه المخلّفات ـ كـالليل ـ إلى القلب ثانية عن طريق الأوردة حيث تجري تصفيته من جديد.

وروحك أيضـاً فيـهـا نهـار وليل، فليـلُهـا الغـفلة عن اللّه فـهي مُظلمة، ونهـارها ذكرُ اللّه، فـذلك القدر من عـمرك الذي قضيـتـه بذكر اللّه يكون مُنيراً.

دَور البحار في حياة الإنسان

﴿وآية لهم أنّا حمَـلنا ذريّتهم في الفُـلك المشحون﴾.

ثم امتنَّ سـبـحـانه علـى خَـلقـه بذكـر فنون نعـمـه دالاً بـذلك على وحـدانيّته فـقـال: ﴿وآيةٌ لهم﴾ أي: وحـجّة وعـلامة لهم علـى اقتـدارنا ﴿أنّا حـمَـلنا ذرّيتهـم﴾ يعني آباءهم وأجدادهـم الذين هؤلاء من نسلهم ﴿في الفُـلك المشحـون﴾ يعني سفينة نوح المملوءة من الناس ومـا يحتاج

إليه مَن فيها، فسلموا من الغَرق فانتشر منهم بشرٌ كثير.[1]

قيل: الذريَّة هم الصّبيان والنساء، والفُلك هي السفينة الجارية في البحار، وخصَّ الذريّة بالحمل في الفُلك لضعفهم ولأنه لا قوّة لهم على السفر كقوّة الرجال، فسخَّر اللّه لهم السفن ليمكن الحمل في البحر، والإبل ليمكن الحمل في البر.

وقيل: ان الضّمير في «ذرّيتهم» يعود إلى أبناء آدم.. يذكّرهم اللّه سبحانه بانعمه العظام عليهم ومنها حَمْلُهم في السفن مملوءة بهم وبمتاعهم، تنقلهم من بلد إلى بلد، فقد سخَّر ربُّ العالمين للإنسان البحار ليتحرّك فوقها ويمخر عبابها طلباً للرزق والسياحة وليصنع السفن ويركبها بقلب قوي فيقطع بها الفراسخ الطويلة، وليصطاد الأسماك وغيرها وليستخرج المرجان والمعادن أيضاً ولينتقل على ﴿الفلك المشحون﴾ مكتظّاً بالناس وحاجياتهم فوق الماء.

﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾.

فمِن مثل السفينة في البحار خلقنا لكم الجَمَل الذي هو سفينة الصحراء، كما يقول المفسّرون.

وهذه الطائرات هي أيضاً من صُنع اللّه ـ كالسفينة ـ والكهرباء والبخار الذي يُسيِّرها من اللّه، فما قام به الإنسان انما هو تجهيزها وتركيبها أمّا الفكر والذكاء وقدرة الإبداع والإختراع فكلّ ذلك من اللّه سبحانه.

---

(١) مجمع البيان ج ٨ ص٤٢٦.

﴿وإن نشا نُغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم يُنقَذون﴾ الآية متّصلة بقوله السابق: ﴿أنّا حمَلنا ذريَّتهم في الفُلك المشحون﴾ أي ان الأمر إلى مشيئتنا فإن نشأ نُغرقهم فلا يُغيثهم مغيث ولا ينقذهم مُنقذ.

وبعبارةٍ أخرىٰ: يذكّرُهم سبحانه بنعمة النجاة من الغَرق وأنه لولا رحمته وعنايته لكانوا من الهالكين، فمن يحفظهم هو اللّه وليست السفينة، والأمر كذلك في السيّارة والطائرة وكلّ المواصلات، فالحافظ ـ سواء في البحر أم في البرّ أم في الجوّ ـ هو اللّه، فإن شاء هلاك أحد فلا نجاة له. لذلك يستحب أن يقرأ الإنسان عند ركوب أي وسيلة نقل دعاء الركوب وهو قوله تعالى:

﴿سبحان الذي سخّر لنا هذا وما كنّا له مُقرنين وإنّا إلى ربّنا لمنقلبون﴾ وأدعية السفر الأُخرىٰ المرويَّة عن المعصومين الأطهار (صلوات اللّه عليهم أجمعين).

﴿إلاّ رحمة منّا ومتاعاً إلى حين﴾.

أي لن ينجو أحد إلاّ إذا شملته مشيئتنا ورحمتنا، فاللّه يحفظه حتّى يحين أجله وفقاً لعلمه وحكمته.

هذه الآيات كلّها شواهد على القدرة الإلهيّة والحكمة الربّانية ومقتضاها أن تكون ـ أيّها الإنسان ـ عبد اللّه المطيع، وان تكون له شاكراً فلا تفتر عن عبادته وشكره بالجسم والمال.

والشكر الجسدي باللسان والأعضاء يتمثّل بالعبادات الجسَدية، كالصلاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والشكر

بالمال ـ بالعبادة المالية ـ بأن ينفق الشخص ممّا يحبّ كما قال تعالىٰ ﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[1]

أي: يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، فالصلاة والزكاة عبادتان مترابطتان، وقد نصَّت علىٰ ذلك جميع الأديان السماويّة.

واعلم أن شكر المُنعم تعالىٰ من تمام العبوديّة الصحيحة، رغم أنّ أحداً لايستطيع تأدية حقّ شكره سبحانه، ويكون منتهى الشكر بمعرفة الإنسان بعجزه عن تأدية شكره سبحانه، ويجب علينا أن نرجع النِعم إلى الحقّ تعالى حيث لا مؤثّر في الوجود إلاّ اللّه.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١١٠.

﴿وإذا قيلَ لَهمُ اتَّقوا ما بين أيديكم وما خَلْفَكم لعلَّكم تُرحَمُون(٤٥) وما تاتيهمْ مِن آيةٍ من آياتِ ربِّهم إلاّ كانوا عنها مُعرِضين(٤٦) وإذا قيلَ لَهم انفِقُوا ممّا رَزقَكم اللّه قال الّذينَ كفروا للّذين آمنوا انُطعِمُ من لو يشاءُ اللّه أطعَمَهُ إنْ أنتم إلاّ في ضَلالٍ مُبين(٤٧) ويقولون متىٰ هذا الوعدُ إنْ كنتم صادقين(٤٨) ما ينظرون إلاّ صيحةً واحدةً تاخذهم وهم يَخِصّمون(٤٩) فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهمْ يَرجِعُون(٥٠)﴾.

الإنسان المعاند

﴿وإذا قيل لهم اتَّقوا ما بين أيديهم وما خَلفكم لعلّكم تُرحمون﴾.

لمّا ذكر اللّه الآيات الدالّة على الربوبيّة ذمَّهم على عدم رعايتهم حقّها وعدم اقبالهم عليها وعدم ترتيب الآثار عليها، فإذا قيل لهم هذه

الآيات البيّنات ناطقة أن ربكم اللّه فاتّقوا معصيته في حالكم الحاضرة وماقدَّمتم من المعاصي، أو عذاب الشرك والمعاصي التي أنتم مبتلون بها وماخلَّفتم وراءكم، أو: اتّقوا مابين أيديكم من الشرك والمعاصي في الحياة الدنيا وماخلفكم من العذاب والعقوبة لعلّكم تُرحمون، لتكونوا راجين رحمة اللّه، اعرضوا عنه ولم يستجيبوا له، على ماهو دأبهم في جميع الآيات التي ذُكِّروا بها.

﴿وما تاتيهم من آية من آيات ربِّهم إلاّ كانوا عنها مُعرضين﴾.

كلّما جاءهم الرسول بمعجزة ظاهرة أو بيّنة واضحة كذَّبوا بها تمرُّداً وعناداً فلا الآيات الأنفسيّة تؤثّر فيهم ولا الآفاقيّة ولا التهديد والإنذار ولا البشارة والتطمين بالرحمة الإلهية.

لايتقبّلون منطق العقل ولا أمر العواطف والفطرة، فهم غرقى في العَمى الكلّي بحيث أنهم لا يتمكّنون حتّى من رؤية أقرب الأشياء إليهم، وحتّى أنهم لايفرِّقون بين ظلمة الليل وشمس الظهيرة.

ثم يشخِّص القرآن الكريم أحد المجالات المهمّة لعنادهم وإعراضهم فيقول:

﴿وإذا قيل لهم أنفقوا ممّا رزقكم اللّه قال الّذين كفروا للذين آمنوا أنُطعِمُ مَن لو يشاءُ اللّه أطعَمه إن أنتم إلاّ في ضَلال مبين﴾.

حين يقال لهؤلاء الكفّار: تعالوا أنفقوا من هذا المال الذي أعطاكم اللّه، وأطعموا الجياع والضعاف ممّا رزقكم اللّه.

يقولون: لو أن إطعامنا لهم كان عملاً حسناً، لكان اللّه أطعمهم وأشبعهم. فقد قضى اللّه عليهم الفقر، وقدَّر لنا الغنى... وهؤلاء

جهلوا ـ أو تجاهلوا ـ أن الفقر من صنع الأرض لا من صنع السماء، من فساد الأوضاع وجور انظمة السلب والنهب واستغلال الضعفاء.

لأنّ اللّه لم يخلق الناس متساوين ففي كلّ زمان يوجد اغنياء وفقراء وفي ذلك إمتحان للناس فالغني أعطاه اللّه المال حتّى ينفع آلاف المساكين ويصلح به أمراض نفسه، فالبذل والعطاء هما علاج لأمراض النفس، والفقر مدعاة خير لصاحبه فإن صاحبت الفقر العفّة والصبر، كان ذلك نعمة عظيمة.

فالفقير يصبر بإختياره والغني كذلك ينفق بإختياره، وكلٌّ منهما يفوز بالحسنات، وهذه هي مشيئة اللّه التشريعية، أن ينتفع الفقير والغني كلاهما.

﴿ويقولون متىٰ هذا الوعدُ إن كنتم صادقين﴾.

وإذا حذَّرهم اللّه والرسول من العاقبة وسوء المصير قالوا ساخرين:

ومتى هذا المصير؟

متى تقوم الساعة؟!

فيأتيهم الردّ ويخبرهم بأنّ قيام الساعة ليس بالأمر المعقّد أو الصَّعب بالنسبة إلى اللّه سبحانه وتعالىٰ:

﴿ما ينظرون إلاّ صيحةً واحدةً تاخذهم وهم يخِصّمون﴾ ذلك في آخر الزمان يُصاح فيهم صيحة سماويّة واحدة يُطلقها مَلك الموت وهي بوَحدها تقبض أرواح جميع الناس الذين يعيشون على سطح الأرض، بلحظة واحدة وهم على حالهم يتخاصمون ويتنازعون فيما بينهم،

فيموتون كلُّهم في مكانهم ولايرجع احد منهم إلى منزله ولا يوصي بوصيّة.

وفي الحديث عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) قال: «تقوم الساعة والرجلان قد نَشَرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتّى تقوم، والرجل يرفع اكلته إلى فيه فما تصل إلى فيه حتّى تقوم، والرجل يليط حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم»[1]

إذا جاءت صيحة العذاب فلا تمهل احداً منهم ليوصي أهله بما أهمَّه، وإن كان غائباً عنهم لايملك الرجوع إليهم، وذلك قوله تعالى:

﴿فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ هذه نفخة الإماتة هي المقدّمة للقيامة، أمّا المرحلة التالية فهي نفخة الإحياء وبنفخة الإحياء يعود الموتى إلى الحياة.

* * * *

(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٤٢٧ والبحار ج٦ ص٣٢٠.

﴿ونُفخ في الصُّور فإذا هم من الأجداث إلى ربِّهم يَنْسِلون(٥١) قالوا ياويلَنا مَن بعثَنا مِن مَرْقَدِنا هذا ما وَعَد الرحمٰنُ وصَدَق المرسَلون(٥٢) إنْ كانتْ إلاّ صَيحةً واحدةً فإذا هُم جَميعٌ لدينا مُحْضَرون(٥٣) فاليومَ لا تُظلم نفسٌ شيئاً ولا تُجْزَونَ إلاّ ما كنتم تَعْمَلون(٥٤)﴾.

النفخُ في الصُّور

﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون﴾.

كيف تكون نفخة الأحياء؟

ذلك ما لا نعلمه، فينفخ الملك الإلهي في الصور فتأتي الصيحة تقول: «أيّتها العظام البالية والشعور المتخدّرة هيّا إلى موقف الحساب».

وعند ما ينفخ في الصور ترىٰ التراب والعظام المتحلّلة تتلبّس

بالحياة وتنتفض من القبر بَشراً سوياً ليحضر المحاكمة والحساب في تلك المحكمة العظيمة المهولة، وكما أنهم ماتوا جميعاً بصيحة واحدة، كذلك بنفخةٍ واحدة يُبعثون أحياء من جديد.

وما أن ينفخ في الصور حتّى يقوم الجميع سراعاً من قبورهم لمواجهة حسابهم أمام ربّهم.

﴿قالوا يا ويلنا مَن بعثنا من مرقدنا؟ هذا ما وَعَد الرحمٰنُ وصَدَق المرسَلون﴾.

نعم فإنّ المشهد مهول ومُذهل إلى درجة أن الإنسان ينسى جميع الخرافات والأباطيل، ولا يتمكّن إلّا من الاعتراف الواضح الصريح بالحقائق.

قال قتادة: أول الآية للكافرين وآخرها للمسلمين، قال الكافرون: ياويلنا من بعثنا من مرقدنا[1] وقال المسلمون: هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون.[2]

الآية تصوِّر القبور بالمراقد، والنهوض من القبور بالبعث كما ورد في الحديث المعروف: «كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تُبعثون» ففي البدء يستغربون انبعاثهم ويتساءلون عمَّن بعثهم من مرقدهم؟ ولكنّهم يلتفتون بسرعة ويتذكّرون بأنّ أنبياء اللّه الصادقين وعَدُوهم بمثل هذا اليوم. فيجيبون أنفسهم قائلين: ﴿هذا ماوعد الرحمٰن وصدق المرسلون﴾.

---

(١) المرقد: اسم مكان بمعنى محلّ الرقود أو محلّ النوم.

(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٤٢٩.

يقول الإمام الباقر (عليه السلام): فإنّ القوم كانوا في القبور فلمّا قاموا حسبوا أنّهم كانوا نياماً قالوا: ياويلَنا مَن بعثنا من مرقدنا؟ قالت الملائكة: هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون.[1]

ثم تقول الآية في بيان سرعة النفخة:

﴿إن كانت إلّا صيحةً واحدةً فإذا هم جميعٌ لدينا مُحضَرون﴾

فالخَلق والموت والبعث لديه تعالىٰ سواء، كل واحد منها يكون بكلمة واحدة، وليس بمقدور أحد أن يتخلّف عنها.

القيامة تقوم بنفختين

عندها تقوم القيامة، فأوّل ما يقع هو النفخ في الصور ويحدث مرّتين:

إحداهما: نفخُ إماتة حيث سيموت الجميع والآخر نفخ إحياء حيث يحيىٰ الجميع ويُبعَثون، كما قال تعالى: ﴿ونفخ في الصور فصَعِق مَن في السماوات ومن في الأرض إلّا ماشاءاللّه ثم نُفخ فيه أُخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون﴾[2].

والصيحة تكون بواسطة المَلك الإلهي المقرَّب: إسرافيل ومعه بوقٌ أحدُ طرفيه في الأرض والطرف الآخر في السماء، فإذا رأت الملائكة إسرافيل وقد هبط إلى الدنيا ومعه الصُّور قالوا: قد أذن اللّه

---

(١) تفسير البرهان ج٤ ص ١١ ح١.

(٢) سورة الزمر، الآية ٦٨.

في موت أهل الأرض وفي موت أهل السماء، فيهبط إسرافيل بحظيرة بيت المقدس ويستقبل الكعبة فينفخ فيه نفخة فيخرج الصوت من الطَّرف الذي يلي الأرض، فلا يبقى في الأرض ذوروح إلاّ صَعِق ومات، ويخرج الصوت من الطرف الذي يلي أهل السماوات فلا يبقى في السماوات ذو روح إلاّ صعق ومات إلاّ إسرافيل، فيقول اللّه لإسرافيل: مُت، فيموت إسرافيل، فيمكثون في ذلك ماشاءاللّه، ثم يأمر اللّه السماوات فتمور ويأمر الجبال فتسير، يقول تعالىٰ: ﴿يوم تَمُورُ السماءُ مَوراً وتسيرُ الجبال سَيراً﴾[1]

أي تُبسط وتُبدَّل الأرض غيرَ الأرض أي بأرض لم تُرتكب عليها الذنوب، بأرض ليست عليها جبال ولا نبات، كما دحاها أوّل مرّة، ويعيد عرشه على الماء كما كان أوّل مرّة مستقلاً بعظمته وقدرته، فعند ذلك ينادي الجبار (جلّ جلاله) بصوتٍ من قِبله جَهْوري يُسمع أقطار السماوات والأرض: ﴿لمن المُلك اليوم﴾[2] فلا يجيبه مُجيب، فعند ذلك يقول الجبّار مُجيباً لنفسه: «للّه الواحد القهّار، وأنا قهرت الخلائق كلَّهم وأمتُّهم، إنّي أنا اللّه لا إله إلاّ أنا وحدي لا شريك لي ولا وزير لي، وأنا خلقتُ خَلقي بيدي وأنا أمتُّهم بمشيئتي وأنا أُحييهم بقدرتي» وتمضي مُدّة من الزمان على النفخة الأُولىٰ لتقع النفخة الثانية لإحياء الموتى وقيام القيامة.

والسؤال الآن: كم هي المدَّة بين النفختين؟

---

(١) سورة الطور، الآية ٩ ـ ١٠.

(٢) سورة غافر، الآية ١٦.

الجـواب: جـاء في بعض الأحـاديث انهـا أربعـون سنة، وفي بعضها: أربعمائة سنة واللّه العالِم.

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: إذا أراد اللّه (عزّوجل) أن يبعث الخلق أمطر السماء أربعين صباحاً فاجتمعت الأوصال ونبتت اللحوم.[1]

وعليه فإحياء الموتى وبعثهم من القبور وإحضارهم في محكمة العدل الإلهي لايحتاج إلى مزيد من الوقت كما كان الأمر عند هلاكهم. فالصيحة الأُولى للموت والصيحة الثانية للحياة والحضور في محكمة العدل الإلهي.

وروي أنّ أباذر (رحمه اللّه) كان يقول في خطبته: ومابين الموت والبعث إلاّ كنَومة نمتَها ثم إستيقظت منها.

وأوّل من يُبعث إلى الحياة هو إسرافيل حيث يجب أن يَنفخ في الصُّور لتقوم القيامة، فينادي إسرافيل: «أيّتها الأرواح الخارجة واللحوم الممزّقة والعظام البالية والشعور المتفرّقة هلمُّوا للحساب» ويصدر الأمر الإلهي إلى الأرض بأن تُخرج مافي جوفها، كما قال تعالى: ﴿واخرجت الأرض أثقالها﴾ فتخرج جميع الأجساد التي في جوفها بواسطة زلزلة شديدة وتجتمع ذرّات الأبدان وترجع الأرواح إليها ويقف الجميع صفّاً واحداً ويرفع الأخيار والصالحون رؤوسهم من القبر وهم يحمدون اللّه تعالىٰ قائلين: ﴿الحمد للّه الذي صَدَقنا

---

(١) البحار ج٧ ص٣٣ ح١، وص ٣٩ ح ٨.

وعده﴾ والأشرار والطالحون يصرخون قائلين: ﴿يا ويلنا مَن بعثنا من مَرقدنا﴾.

في هذا اليوم (يوم القيامة) يُحشر الناس على نيّاتهم، أي تظهر بواطن الأشخاص التي كانت مغطّاة في هذه الدنيا ويستوي عندئذ ظاهره وباطنه. . فالأشخاص الذين طهرت نيّاتهم وقلوبهم سوف يحشرون بشكل الملائكة، وأمّا من كان باطنه الشهوة والشرّ فسوف يُحشرون على شكل الكلاب والقردة.

﴿فاليوم لا تُظلَم نفسٌ شيئاً ولا تُجزَونَ إلاّ ما كنتم تعملون﴾.

بعد نفخة الإحياء يقف الخلق جميعاً حُفاة عُراة أمام محكمة العدل الإلهي إلاّ بعض الناس وهم المتّقون والصالحون حيث يدخلون المحشر مع اللّباس الربّاني، وكذلك المؤمنون الذين خرجوا من الدنيا ولهم بعض الذنوب ولاقوا العذاب في البرزخ وتطهّروا. وتحضر كل نفس برفقة اثنين كما قال تعالى: ﴿وجاءت كلُّ نفس معها سائق وشهيد﴾[1] فلا يتخلّف أحد عن الحضور في يوم ظهور عدل اللّه الحق ولا يسقط من الحساب ولا بقدر ذرّة، لايُظلم أحد، كافراً كان أم مؤمناً، عابداً كان أم فاسقاً.

﴿فاليوم لا تُظلم نفس شيئاً﴾ فمَن عمل السوء فسيُجزىٰ بقدر عمله، ومن عمل صالحاً أُثيب عليه، ولا عقاب اليوم لمن لم يجترح معصية، وعقاب الذنب رهين بصاحبه وليس بغيره ﴿ولا تزر وازرةٌ

---

(١) سورة ق، الآية ٢١.

وزرَ أخرىٰ﴾[1].

وبعبارة أخرىٰ: فإنّ الأعمال الحسنة والسيّئة التي قمنا بها في الدنيا سترافقنا في ذلك العالَم أيضاً، ونفس الأعمال تتجسَّد هناك وترافقنا في جميع مراحل الآخرة في المحشر وبعد نهاية الحساب.. فكيف يكون حالنا؟!

ولا يمرّ يوم علينا إلّا تزداد ذنوبنا فياترى هل فكّرنا في اهوال القيامة إذا فقدنا لباس التقوى في ذلك اليوم؟

يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) في الدعاء الذي يستحبّ أن يقرأه الإنسان في اسحار شهر رمضان: «ابكي لخروجي من قبري عرياناً ذليلاً».

هيّا لنشترك كلّنا مع الإمام في دعائه: «والبسني من نظرك ثوباً يغطّي عليَّ التبعات وتغفرها لي».

* * * *

---

(١) سورة فاطر، الآية ١٨.

﴿إنَّ أصحابَ الجنَّة اليومَ في شُغُلٍ فاكهون(٥٥) هُم وأزواجُهم في ظِلالٍ على الأرائك متّكؤن(٥٦) لهم فيها فاكهةٌ ولهم مايَدَّعون(٥٧) سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم(٥٨)﴾.

نافذة علىٰ نعيم الجنّة

ثم تنتقل الآيات لتتعرّض إلى جانب من مثوبة المؤمنين العظيمة، وقبل كل شيء تشير إلى مسالة الطمانينة وراحة البال فتقول:

﴿إنّ أصحاب الجنّة اليوم في شُغُل فاكهون﴾.

لقد خلق اللّه سبحانه وتعالى مكاناً في الآخرة يكون ذخراً للمتّقين والمؤمنين، وقد خَلَق اللّه (عزَّوجل) في هذا المكان أنواع الملذّات المختلفة والنعم العظيمة إلى درجة أن معرفة حقيقته مستحيلة على أهل هذه الدنيا، كما أن الجنين في بطن أمّه لايعرف شيئاً عن أوضاع واخبار هذا العالم الدنيوي، ولذلك أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة بقوله: ﴿فلا تعلم نفس ما أُخفي لهم من قرَّة أعين جزاءً

بما كانوا يعملون﴾[1]

ويخبرنا القرآن الكريم بشكل إجمالي عن نِعَم الجنّة فيقول: ﴿لهم فيها مايشاؤن ولدينا مزيد﴾[2]. ويقول أيضاً: ﴿وهم في ما اشتهَت أنفسهم خالدون﴾[3].

على كلّ حال لا مكان للعجز والضَعف وللمرض والتعب والحزن هناك، فهناك السلامة المطلقة من كلّ جهة، ولذلك تسمّى الجنّة بدار السلام، وهناك السلطة الحقيقية التي هي عبارة عن القدرة التامّة بحيث أن كل ما يريده الإنسان يتحقّق، ولذلك ورد: «إنّ أهل الجنّة ملوك».

وفي سورة الدهر يقول سبحانه وتعالىٰ: ﴿وإذا رأيتَ ثَمَّ رأيتَ نعيماً ومُلكاً كبيراً﴾[4]

ومن النعم الإلهيّة في الجنّة والتي أشار إليها القرآن المجيد:

﴿ولحم طيرٍ ممّا يشتهون﴾[5].

﴿وفاكهة ممّا يتخيّرون﴾[6].

---

(١) سورة السجدة، الآية ١٧.

(٢) سورة ق، الآية ٣٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ١٠٢.

(٤) سورة الدهر، الآية ٢٠.

(٥) سورة الواقعة، الآية ٢١.

(٦) سورة الواقعة، الآية ١٩.

﴿وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾[1].

﴿فيهما فاكهة ونخل ورمّان﴾[2].

﴿فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغيَّر طَعْمُه وأنهارٍ مِن خَمْر لذَّة للشاربين وأنهار مِن عَسَل مُصَفّى﴾[3].

﴿يُحلّون فيها من أساوِرَ مِن ذَهب ويلبسون ثياباً خُضْراً مِن سُنْدُسٍ وإستبرق﴾[4].

﴿ولباسهم فيها حرير﴾[5].

﴿لهم غُرفٌ من فوقها غُرف مَبنيَّة تجري من تحتها الأنهار﴾[6]

﴿متّكئين على فُرُش بطائنُها مِن إسْتبرق﴾[7].

﴿وحورٌ عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾[8].

﴿لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ﴾[9].

---

(١) سورة الواقعة، الآية ٣٢.

(٢) سورة الرحمن، الآية ٦٨.

(٣) سورة محمّد، الآية ١٧.

(٤) سورة الكهف، الآية ٣١.

(٥) سورة فاطر، الآية ٣٣.

(٦) سورة الزمر، الآية ٢٠.

(٧) سورة الرحمن، الآية ٥٤.

(٨) سورة الواقعة، الآية ٢٢.

(٩) سورة الرحمن، الآية ٥٦.

﴿كأنّهنّ الياقوت والمرجان﴾[1]

﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾[2]

إنّ اللّه تعالىٰ يجعل لأصحاب الجنّة شُغلاً يشغلهم عن الإهتمام بصخب المحشر وزفير جهنّم وصريخ المذنبين وغير ذلك من الأهوال والمخاوف، حتّى لو كان أقرباؤهم في جهنّم فإنّهم ينشغلون عنهم بما بين أيديهم مِن نِعَم اللّه، فهم - إذن - في شغل عن جهنّم ومتاعبها وشدائدها، فلا يذكرون أصحاب الجحيم إلّا إذا شاء اللّه، وذلك عندما تُفتح كوّة يَرىٰ أهلُ جهنّم أصحابَ الجنّة مِن خلالها فينادونهم أنْ مُنُّوا علينا بشيء ممّا حباكم به اللّه من هذه النعم، كما قال تعالى -عن لسانهم-: ﴿أفيضوا علينا من الماء، أو ممّا رزقكم اللّه﴾ فيجيبهم أهل الجنّة: ﴿إنّ اللّهَ حرّمهُما على الكافرين﴾[3] فكلُّ مَن فارق الحياة على غير الإيمان لن يكون له نصيب من هذه النعم.

وقيل: شَغَلهم في الجنّة سبعةُ أنواع من الثواب لسبعة أعضاء، فثواب الرِّجل بقوله: ﴿أُدخلوها بسلام آمنين﴾ وثواب اليد: ﴿يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها﴾ وثواب الفرج: ﴿وحور عين﴾ وثواب البطن: ﴿كلوا واشربوا هنيئاً﴾ وثواب اللسان: ﴿وآخر دعواهم أنِ الحمد للّه ربّ العالمين﴾ وثواب الاذن: ﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٥٨.

(٢) سورة الدهر، الآية ١٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية ٥٠.

وثواب العين: ﴿وتَـلذُّ الأعين﴾.[1]

﴿هم وأزواجهم في ظِلال على الأرائك متّكؤن، لهم فيها فاكهة ولهم مايَدَّعون﴾.

يقول بعض المفسِّرين: إنّ في هاتين الآيتين تبياناً لبعض وجوه التنعّم التي يرفل بها أهل الجنّة، فالأُنس بالأزواج هو ممّا يُشغلهم وهاتيك الأزواج إمّا هنَّ من الحوريّات، أو من النساء المؤمنات.

وبما أنّ أعظم النِعم الجسمانيّة في الجنّة هي الحور العين لذلك نجد أنّ القرآن الكريم ذكرها بكثرة، والعلّة في تسميتها بهذا الإسم إن الحور بمعنى الجسم الأبيض والعِين بمعنى العين الواسعة، وكلاهما موجود في الحور العين.

ويمكن أن يكون سبب تسميتها بهذا الإسم أن العيون تتحيَّر وتنبهر لفرط جمالها، يقول (عزّوجل): ﴿وحورٌ عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾[2] وهو اللؤلؤ في داخل الأصداف التي لم تمسَّها يد.[3]

وروي عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) أنه قال: وإذا ضحكتْ يعلو أنوارُ أسنانها حيطان الجنّة وأشجارها ويسطع نورٌ في الجنّة فيرفعون رؤوسهم فإذا ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها.

ويقول القرآن الكريم: ﴿إنّا أنشأناهنّ إنشاءً﴾ أي خلقناهنّ بدون

---

(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٤٢٩.

(٢) سورة الواقعة، الآية ٢٢ـ ٢٣.

(٣) البرهان ج٤ ص ٢٧٧.

واسطة الأب والأم ﴿فجعلناهنّ ابكاراً﴾ اي فتيات باكرات. (عُرُباً اتراباً﴾ إضافة إلى عشقهنّ لأزواجهنّ ومحبّتهنّ لهم انَّ عمر كل واحدة منهنّ ١٦ سنة كما أن عمر الرجل في الجنّة ٣٣ سنة ﴿لم يطمثهنّ إنس قبلهم ولا جانّ﴾ اي لم تمتدّ إليهنّ يدُ آدمي او جنّي قبل ذلك ﴿كأنّهنّ الياقوت والمرجان﴾[١]

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «إنَّ المرأة من أهل الجنّة يُرىٰ مُخّ ساقها من وراء سبعين حُلّة من حرير كما يُرىٰ السِّلك من وراء الياقوت».[٢]

ويقول القرآن الكريم: ﴿ولهم فيها أزواج مُطهَّرة وهم فيها خالدون﴾[٣] أي طاهرات من كلّ نجاسة ودرن ومنها الحيض وغير ذلك، وطاهرات من التكبّر والغيرة والغرور.

وروي أنّه مكتوب على عضدها الأيمن بأحرف من نور: «الحمد للّه الذي صَدَقنا وعده» وعلى الأيسر: «الحمد للّه الذي أذهب عنّا الحَزَن».

وروى المجلسي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انه قال ـ في تفسير الآية الشريفة ـ: ﴿فيهنّ خيرات حسان﴾ الخيرات الحسان من نساء أهل الدنيا وهنّ أجمل من الحور العين.[٤]

---

(١) سورة الرحمن، الآية ٥٨.

(٢) البرهان ج ٤ ص ٢٧٢ ح٧.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٥.

(٤) وسائل الشيعة ج٢٠ص ١٢١.

وروي ايضاً انّ النساء من اهل الجنّة اللواتي لم يتزوّجن في الدنيا او لم يكن ازواجهنّ من اهل الجنّة لهنّ الحريّة في اختيار ايّ واحد من اهل الجنّة زوجاً لها، وإنْ كان زوجها مِن اهل الجنّة فإنّها تتزوّجه بميلها ورغبتها[1].

وقد روي عن الإمام الباقر (عليه السلام) ـ ما معناه ـ ان أمّ سلمة سالت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «بأبي انت وأمّي.. المراة يكون لها زوجان فيموتان ويدخلان الجنّة لأيّهما تكون؟

فقال (صلّى الله عليه وآله وسلم): يا أمّ سلمة تتخيَّر احسنهما خُلُقاً وخيرَهما لأهله، يا أمّ سلمة إنّ حسن الخُلق ذهب بخير الدنيا والآخرة.[2]

وروي عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) - ما معناه ـ انّه توضع في تصرّف المؤمن في الجنّة مائة فتاة بكر كلّ يوم، ومايدعو للعجب هو انّ الواحدة منهنّ تعود بكراً على الفور[3] دون ان تعاني ايّ مشقّة.

﴿لهم فيها فاكهةٌ ولهم مايَدَّعون﴾.

اي انّ اهل الجنّة لهم فيها فواكه اشجار الجنَّة بمختلف الوانها الزاهية وروائحها الزاكية وطَعمها اللّذيذ.

كما انّ لهم كلّ مايتمنّون وكلّ مايشتهون، على العكس من

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر السابق.

(٣) تفسير البرهان ج٤ ص ٢٧٢ ح٤.

الدنيا، فإنّ الإنسان قد يشتهي اشياء ويتمنّى أموراً ولكنه عاجز عن تحصيلها. . ولكنّ أصحاب الجنّة لا يتعسَّر عليهم شيء ولا يعجزون عن شيء، فـ﴿لهم ما يدَّعون﴾ أي: يتمنّون ويشتهون.

وكلّ هذه النِعم الإلهيَّة إنما يحصل عليها الإنسان ببركة إيمانه وأعماله الصالحة في الدنيا، كما قال سبحانه: ﴿وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعىٰ، وأنّ سعيه سوف يُرىٰ﴾[1]

فإن سلم قلبك فأنت في دار السلام في الجنّة وإن مرض قلبك فأنت في مستشفى الأمراض في جهنّم ﴿لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾[2].

والأعظم من ذلك مكالمة اللّه سبحانه وتعالى لعبده المؤمن:

﴿سلامٌ قولاً من ربّ رحيم﴾ هذه هي التحيّة الإلهيّة، وسلام اللّه أمانة ورحمة، ورضوانه منتهى السعادة والنعمة... ومن هنا قال الإمام علي (عليه السلام): كل نعيمٍ دون الجنّة محقور، وكلّ بلاء دون النار عافية.[3]

وفي رواية عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) قال: بينا أهل الجنّة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الربّ قد أشرف من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنّة، وذلك قوله تعالى: ﴿سلام قولاً من ربّ رحيم﴾ قال: فينظر إليهم وينظرون إليه فلا

---

(١) سورة النجم، الآية ٣٩ ـ ٤٠.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٣) الكافي ج ٨ ص ٢٢.

يلتفتون إلى شيء من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتّى يحتجب عنهم ويبقي نوره وبركته عليهم في ديارهم.[1]

نعم فإنّ جاذبيّة مشاهدة المحبوب ورؤية لطفه تبعث اللذّة والشوق في النفس بحيث ان لحظة واحدة من تلك المشاهدة لايمكن مقارنتها بأيّة نعمة، وعشّاق رؤيته والنظر إليه هائمون في ذلك إلى درجة أنه إن قطعتْ عنهم تلك الإفاضة المعنويَّة فإنهم يحسُّون بالحسرة والألم، كما ورد عن أميرالمؤمنين (عليه السلام): «لو حجبت عنه ساعة لمتّ» ومن هنا قيل إن ماكان للأنبياء (عليهم السلام) في الدنيا من الكرامة ومنها مخاطبة ومحادثة الخالق (جلّ وعلا) يكون من نصيب أهل الجنّة في الآخرة.

وقد ذكر العلاّمة المجلسي (أعلى اللّه مقامه) في المجلّد الثاني من

---

(١) أيها القارىء الكريم: لقد ثبت ـ على ضوء الأدلَّة القاطعة من القرآن والأحاديث الشريفة ـ أن اللّه تعالىٰ ليس بجسم وليس مركّباً من الأعضاء والجوارح، ولهذا فلا يمكن لأحد أن يراه، لا في الدنيا ولا في الآخرة، لان رؤيته مستحيلة، ومن هذا المنطلق العقائدي فإن كلّ حديث يُفهم منه معنى الجسميَّة للّه سبحانه محمول على المجاز لا الحقيقة، ولابدَّ من تفسيره بما لايتنافىٰ مع هذا الأمر العقائدي الثابت، والمفهوم من هذا الحديث النبوي الشريف هو نور اللّه سبحانه كما جاء فيه: «إذ سَطع لهم نور» ويكون معنىٰ: «فإذا الربّ قد أشرف من فوقهم» هو نور اللّه جلّ جلاله، وعظمته وجلاله ـ ومايدور في هذا المجال ـ، وكما كان اللّه تعالى يخاطب أنبياءه ـ من خلال خَلق الصوت في الهواء ـ كذلك يخاطب سبحانه أهل الجنّة من خلال خَلق الصوت، وليس معناه خروج الصوت من الحنجرة والأوتار الصوتية كما هو الحال بالنسبة إلى الإنسان. فافهم جيّداً.

بحار الأنوار أحاديث مفصّلة عن كيفيّة تجلّيات الأنوار الإلهيّة لأهل الجنّة ومن جملتها مقام الرضوان الذي ذكره القرآن الكريم: ﴿ورضوان من اللّه أكبر﴾[1].

ومنها: نعمة جوار محمّد وآل محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) واللّقاء بهم، كما قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): «ياعلي أنت غداً على الحوض خليفتي وأنت تقضي دَيني وتنجز عداتي، وشيعتك على منابر من نور حولي في الجنّة وهم جيراني».

ومنها: نعمة الخلود في الجنّة، فعندما يلتفت المؤمن إلى أن هذه النعم العظيمة لاتزول عنه أبداً تحصل له من ذلك الطمانينة وراحة البال والاستقرار النفسي وهذه لذّة عجيبة لا توصف.

ومن النعم الروحيّة هو لقاء الأنبياء والصلحاء والمؤمنين كما ورد في القرآن الكريم: ﴿على سُرُر متقابلين﴾ وروي انّ أهل الجنّة مَدعوُّون في كلّ يوم لملاقاة أحد المرسلين من أُولي العزم وتناول الطعام على مائدته، فإذا كان يوم الخميس يَحلّون ضيوفاً على خاتم الأنبياء (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) وفي يوم الجمعة يُدعىٰ الجميع للاستضاءة بنور اللّه (عزّوجل).

هذا ماذكرناه مختصراً للنعم الإلهيّة في الجنّة.

والآن نطرح هذا السؤال: هل يجوز للإنسان العاقل أن يخسر هذه الدرجات العالية والمقامات السامية من أجل أيّام معدودة في هذه الدنيا الفانية؟!

---

(١) سورة التوبة، الآية ٧٢.

إنّ الإنسان يسعى للوصول إلى بعض المناصب الدنيويَّة ويتحمّل مايتحمّل من الأتعاب والصعوبات والآلام للوصول إليها مع انه لا يعلم انّه هل يصل إليها ام لا؟ وإن وصل إليها فسوف تزول عنه بالموت، فلماذا التقصير في الوصول إلى المناصب الباقية في الجنّة؟؟

يقول الإمام اميرالمؤمنين (عليه السلام) ـ في خطبة له في نهج البلاغة ـ: «سبحانك خالقاً ومعبوداً خَلقتَ داراً وجعلت فيها مأدبة ومشرباً وازواجاً وخَدَماً وزروعاً وانهاراً وقصوراً، ثم ارسلتَ داعياً يدعو إليها فلا الداعي اجابوا ولا فيما رغَّبتَ إليه رغبوا ولا إلى ماشوَّقتَ إليه اشتاقوا، اقبلوا على جيفة قد افتضحوا باكلها واصلحوا على حبّها، ومَن عَشق شيئاً اغشى بصرَه وامرضَ قلبه فهو ينظر بعين غير صحيحة وأُذُن غير سميعة، قد حرقت الشهوات عقله واماتت الدنيا قلبه وولهت إليها نفسه فهو عبد لها».

اليس في هذا الوصف للجنّة مثاراً للشوق؟

لماذا لا نكون ممّن يقول: «واشتاق إلى قُربك في المشتاقين»؟

ولكن مع الأسف نرى الناس اليوم يَحنُّون شوقاً إلى كلّ شيء إلّا الشوق إلى الجنّة وثواب اللّه، ويخافون من كلّ شيء إلّا الخوف من عقاب اللّه وعذابه.

وعندما سُئل الإمام المجتبى (عليه السلام): لماذا نستاء من الموت؟ فأجاب بما مضمونه: ذلك انكم قمتم بإعمار دنياكم، فمن الواضح أن مَن كانت آخرته خربةً، ولم يعدَّ لها عدّتها، فهو بالطبع لا يحبّ الإنتقال إليها.

يقول تعالى: ﴿إنَّ الأبرار لفي نعيم وإنَّ الفجّار لفي جحيم﴾ وانطلاقاً من هذه الآية الكريمة فلا يوجد مكان ثالث، بل ينحصر في النعيم أو الجحيم، فإذا أهمل الإنسان السعي للآخرة الفاخرة وقصَّر في أداء ما فَرض اللّه عليه من الواجبات وترك المحرَّمات فإنّه ليس فقط يخسر الجنّة ونعيمها الدائم بل يَصلىٰ سقر ﴿وما أدراك ما سقر، لا تُبقي ولا تَذر﴾.

* * * *

﴿وامتازوا اليوم أيُّها المجرمون(٥٩) ألم أَعْهدْ إليكم يا بَني آدم أنْ لا تعبُدُوا الشيطان إنّه لكم عَدوّ مبين(٦٠) وأنِ اعْبُدوني هذا صراطٌ مستقيم(٦١) ولقد أضلّ منكم جِبِلاّ كثيراً أفلم تكونوا تعقلون(٦٢)﴾.

تمييز المجرمين عن غيرهم

﴿وامتازوا اليوم أيّها المجرمون﴾ كان بعض المجرمين في الحياة الدنيا يتظاهرون بالصلاح ويختلطون مع أهل التقى والخير، ويخفى حالهم على الكثير من الناس، أمّا في يوم الفصل والجزاء فيباعَد بينهم وبين الصالحين لأن المجرم إذا كان بين الناس لا تزدريه العيون، أمّا إذا كان منفصلاً عنهم في جهة أُخرىٰ فإنّه فضيحة وإهانة له. ويأتي النداء: اليوم لابدَّ أن تمتازوا أيّها المذنبون، ففي الدنيا كانت أعمالكم مستورة ولا يعلم أحدٌ شيئاً عمّا يبطنه الآخر ويخفيه، أمّا اليوم فهو يوم كشْف

الحقائق والمكنونات كما قال تعالى: ﴿يوم تُبلىٰ السرائر﴾[1] واليوم لا مجال للادّعاء بل لا وجود لغير الحقّ والحقيقة والواقع، فالمذنب لابدَّ له من أن يمتاز ويُفرَز من كلّ ناحية: صورةً، وقولاً، ومكاناً وزماناً، فالمذنبون يصبحون على حِده، وما ان يأتي النداء التكويني القهري حتّى يَسْوَدّ وجه المذنب على الفور، ويبْيَضّ وجه المؤمن، ولهذا فإنّ المذنبين يُعرفون بسيماهم، أي باسوداد وجوههم كما قال سبحانه: ﴿يُعرف المجرمون بسيماهم فيؤخَذ بالنواصي والأقدام﴾[2].

لا تعبدوا الشيطان

﴿الم اعهد إليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان إنّه لكم عدوٌّ مبين﴾.

بعد أن يميّز اللّه تعالى المجرمين ويفرزهم عن عباده الصالحين كانّ المجرمين ينتقدون هذه الخطوة ويحتجّون على اللّه تعالىٰ، فيأتي الجواب الصارم: ﴿الم أعهد إليكم يا بني آدم﴾؟ الم نعهد إليكم ونشرط عليكم ونحذّركم في الدنيا ﴿انْ لا تعبدوا الشيطان﴾ وان تحذروه ولا تطيعوه وخالفوا اوامره ووَساوسَه ﴿إنّه لكم عدوٌّ مبين﴾ هذا عدوّكم الواضح والعنيد، فلابدّ ان تتّخذوه عدوّاً، لأنّه يقودكم إلى الفحشاء والبغضاء والفساد وبالتالي إلى النار والخسران، لا ان تتّخذوه صديقاً وتتّبعوه.

---

(١) سورة الطارق، الآية ٩.

(٢) سورة الرحمن، الآية ٤١.

وإن سال سائل: كيف عَهِد اللّه تعالى إلى بني آدم ان لا يعبدوا الشيطان؟

الجواب: عن طريق الحجّة الباطنة وهي العقل، والحجّة الظاهرة وهم الأنبياء والأولياء الّذين قادوا البشريّة إلى الإيمان وحذّروهم من الشيطان.

من هو الشيطان؟

الشيطان مخلوق من مخلوقات اللّه التي لا حصر لها، تغلب فيه طبيعة الهواء والنار بينما تغلب في الإنسان طبيعة الترابية، والشيطان لايُشاهَد ولايترك ظلاً له، ولذا فهو غير قابل للرؤية بالعين المادّية، قال تعالى: ﴿إنّه يراكم هو وقبيلُه من حيثُ لا ترونهم﴾[1].

امّا إذا سالتَ: ما هو سبب عدائه للإنسان؟

فاقول لك: الحسد والكبر هما اللّذان اوجبا عداوته للإنسان، حيث راى ان اللّه تعالى وهب مخلوقاً ترابياً ـ هو آدم وذرّيته ـ مزايا كثيرة فادرك ان هذا الموجود سوف يبلغ مرتبة تصبح معها الملائكة خَدَماً له، فها هي تسجد له، وهو لذلك اشرف المخلوقات، فما انْ ادرك هذا الأمر، وامر اللّه الملائكة ان يسجدوا لآدم تعظيماً له حتّى غلب على الشيطان الكبر والحسد، فاعترض على ربِّ العالمين ورفض طاعته في السجود لآدم، فكان نصيبه الطرد الأبدي، مع انه عَبَدَ اللّه

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٢٧.

ستّة آلاف سنة، فلمّا تكبّر وحَسَد ذهبت كلّ عبادته أدراج الرياح، فعداؤه لآدم وذرّيته عداء عنيف وهو لن يكون رفيقاً للإنسان أبداً، بل هو عدوّ عنيد له، فعليك انت أيضاً أن تتّخذه عدوّاً كما قال تعالىٰ: ﴿إنّ الشيطان لكم عدوٌّ فاتّخِذوه عدوّاً﴾[1] فلا تتّبعوه، فالعاقل يتجنّب عدوّه ويحذره لأنّ عداوته تهدف إلى حرمان بني‌آدم من الفوز بمقام القُرب من اللّه سبحانه، فهو يجهد ـ منذ البداية وحتّى قيام الساعة ـ علىٰ أن يسلب أصل الإيمان في الإنسان ويعمل على التقليل منه، فإن لم‌يستطع إنصرف إلى إفساد العمل، فعبادة الشيطان تكمن في إطاعته فلا تصغ إليه واسلك عبادة الرحمن.

﴿وأن اعبدوني هذا صراطٌ مستقيم﴾ فالصراط المستقيم هو الشرع المقدّس، أُصول الدين وفروع الدين، الواجبات والمستحبّات، المحرَّمات والمكروهات، الأخلاق والآداب، هذا هو الصراط المستقيم.

سُئل الإمام الصادق (عليه السلام) عن الصراط المستقيم فقال: هو الطريق إلى معرفة اللّه (عزَّوجل) وهما صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، امّا الصراط الذي في الدنيا فهو الإمام المفترَض الطاعة، مَن عَرفه في الدنيا واقتدىٰ بهداه مرَّ على الصراط الذي هو جسر جهنّم في الآخرة، ومن لم‌يعرفه في الدنيا زلّتْ قَدَمه عن الصراط في الآخرة فتردّىٰ في نار جهنّم.[2]

والسؤال الآن: بايّ سلاح نواجه هذا العدوّ اللعين؟

---

(١) سورة فاطر، الآية ٦.

(٢) معاني الاخبار ج ١ ص ٢٨ باب معنىٰ الصراط ح١.

الجـــواب: قـــال رســـول اللّه (صلّى اللّه عليـــه وآله وسلم) لأصحابه: «ألا أُخبركم بشيءٍ إنْ أنتم فعلتموه تباعد الشيطان منكم تباعد المشرق من المغرب؟

قالوا: بلى.

قال: الصوم يسوّد وجهه، والصدقة تكسر ظهره، والحُبُّ في اللّه والمؤازرة على العمل الصالح يقطعان دابره، والإستغفار يقطع وَتينه». (١)

فالصوم يسوّد وجه الشيطان ويبدو بتلك الصورة في عالم الملكوت، والصدقة تكسر ظهره، أمّا إنْ شئتَ أن تخمد أنفاسه وتقطع دابره نهائيّاً عنك فاحبَّ كلّ ما تحبّه في اللّه، وبالإستغفار إقطعوا وتين الشيطان ونياط قلبه، فملكوت الإستغفار هو السلاح الفعّال الذي يقضي فعلاً على الشيطان.

وإذا سألت: ما السبب في وقوع الإنسان في شرك الشيطان بعد أن عرف عدوّه واكتشف شراكه؟

فالجواب هو: انّ شراك الشيطان موافقة لهوى النفس، فسبب تسلّط الشيطان على الإنسان وخداعه له هو أنّ مايدعوه إليه يوافق هواه، في حين أنّ مايأمر به رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) يخالف هوى النفس وميولها، وتُرك الاختيار إلى الإنسان.

فالشيطان يوسوس ويدعو إلى فعل الشرّ ويحرّض على المحرّمات،

---

(١) الكافي ج ٤ ص ٦٢.

لكنّه لا سلطان له كما جاء في القرآن الكريم ﴿وما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي﴾[1]

فوسوسة الشيطان تواكب ميول النفس حيث انّ لهذا الشيطان مصائد وهي الشهوات والملذّات، والنفس ترغب إلى الحرام فيدفعها الشيطان إليه.

يقول الإمام اميرالمؤمنين علي (عليه السلام): «حُفّت الجنّة بالمكاره وحُفّت النار بالشهوات».[2]

وجاء في الروايات أنّه بعد أن خلقت الجنّة قال جبرائيل: ربّي ومَن من الناس يأبى ورود دار للضيافة كهذه؟

فجاء النداء: أنْ امعِن في الطريق إليها، فنظر فرأى فيه المهاوي والأشواك والغيلان و...

ـ اي: إنّ سالك هذا الطريق ستعترضه عقبات من الحرمان فعليه أن يصوم ويتحكّم بلسانه ويقوم لصلاة الصبح عند الفجر ـ حيث اللذّة القصوى في النوم وما في النهوض من ضيق ـ وعليه أن ينزع حبَّ المال من قلبه فيعطي خمس ما حصل عليه منه ـ.

فقال جبرائيل: إذا كان هذا طريق الجنّة فزبائنها ـ إذن ـ قليل!!

ـ فهي تحتاج إلى همّة عالية، كما تحتاج إلى مغالبة النفس والهوى ـ.

---

(١) سورة إبراهيم، الآية ٢٢.

(٢) بحار الأنوار ج ٦٧ ص ٧٨.

ولمّا خلق اللّه جهنّم ساله جبرائيل: إلهي ومَن مِن الناس يلقي بنفسه في موطن للعذاب كهذا المكان؟!

فجاء النداء: ان انظر إلى طريقها، فنظر فراى طريقاً مستويةً، ملساء، يسهل السير عليها، وصورتها تمثّل القمار والزنا والربا... وجميع الشهوات ممّا يوافق الهوى فقال: إلهي، فزبائنها كثير!!

يقول اميرالمؤمنين علي (عليه السلام): «إنّ اخوف ما اخاف عليكم إثنان: اتّباع الهوىٰ وطولُ الأمل»[1]

اقول: إلهي: هب لنا إيماناً نصدّق به هذه الحقائق، فنخشىٰ من فضيحة يوم القيامة من ان نفتضح امام الأوّلين والآخرين.

ايّها الشرفاء: إحذروا الغفلة وصونوا قلوبكم عن القسوة، فإنّ غفلة النفس والأهواء والرغبات والأماني تقلّل الإيمان، ذلك الإيمان الذي يبوِّء مقعد الصدق ومقام الحقّ.

وللتعريف بهذا العدوّ القديم اكثر فاكثر يقول اللّه تعالى:

﴿ولقد اضلّ منكم جِبلاً كثيراً افلم تكونوا تعقلون﴾؟

الجِبلّ هو الخَلق، فالشيطان قد اغوى واهلك قبلكم كثيراً من الخلق، وكلّ من سلك مسلك الهالكين ـ بعد ان حُذّر وأُنذر ـ فهو في عمى عن نور العقل وهدايته، لقد اعطى اللّه للإنسان العقل حتّى يعتبر ويتنبّه، فكم من الأشخاص الذين قد اضلّهم الشيطان ثمّ اهلكهم في نهاية الأمر؟

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٣٤٨ ج٣ باب اتّباع الهوى.

ها هو قارون الذي لم ينل أحدٌ ما ناله من الثروة على الإطلاق، بواسطة علم الكيمياء الذي علّمه إيّاه النبي موسى (عليه السلام) وجَمَع من الذهب والكنوز مايصفه اللّه تعالى في القرآن الكريم بقوله: ﴿وآتيناه من الكنوز ما إنَّ مفاتحه لَتنوءُ بالعُصْبَة أولي القوَّة﴾[1] فانظر إلى عاقبته.. لقد ابتلعت الأرض أمواله كلّها أمام عينيه ثمّ ابتلعته. قال تعالىٰ: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾[2].

فانت أيّها الغني مهما بلغ بك الثراء لن تجمع ماجمعه قارون، فكم من الأشخاص الذين بلغت أموالهم في البنوك الملايين ثم رحلوا بأيد خالية؟!! فاعتبروا.

وانت أيّها الشابّ: إذا وقع بَصرُك على امرأة وغلبتك الشهوة فانظر أين وصل أولئك الذين اتّبعوا شهواتهم قال تعالى: ﴿قل للمؤمنين يغُضُّوا من أبصارهم﴾[3].

والذين يقضون أكثر أوقاتهم أمام الإنترنت والفضائيّات ويشاهدون البرامج المخلّة بالآداب والبعيدة عن الأخلاق والتربية ماذا كانت عاقبتهم؟!!

قال اميرالمؤمنين علي (عليه السلام): إذا ابصرت العين الشهوة عمى القلب عن العاقبة.[4]

---

(١) سورة القصص، الآية ٧٦.

(٢) سورة القصص، الآية ٨١.

(٣) سورة النور، الآية ٣٠.

(٤) غرر الحكم، ص ٣٠٥.

وأنتِ أيّتها الفتاة عليكِ بالحجاب الإسلامي الكامل، قال تعالى: ﴿ذلكم أطهر لقلوبكم﴾ وابتعدي عن مظاهر الزينة بأنواعها، قال تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهنّ﴾.

ها هي صفحات الجرائد حافلة بالحوادث المؤلمة، وكلّها نتيجة لاتّباع الشيطان في الدنيا، وأنتِ في هذه الحالة ظالمة لنفسك ومُعرِّضة نفسك لعقاب اللّه جيث تؤكّد الروايات أنّ المرأة التي تُظهر شعرها وتستعمل المساحيق والطيب هذه ظالمة وعاصية للّه ولا تسير خطوة إلاّ تلعنها الملائكة لأنّها خرجت على قانون الحجاب، هذا القانون الحكيم الذي وضعه اللّه لحفظ شرف المرأة وعفافها وكرامتها.

إنّ الحجاب عبادة وطاعة وتقرُّب إلى اللّه سبحانه فالتزمي به مهما كلّف الأمر ولا تنخدعي بالشعارات الباطلة الجوفاء.

﴿ولقد أضلّ منكم جِبِلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾؟ فلكي يحذر الإنسان من عبادة الشيطان يحذّره العليم الخبير أنّ الشيطان قد أضلّ خَلقاً كثيراً، أفلا تعتبرون؟ أفلا تعقلون؟ أفلا تنظرون كم أضلّ الشيطان من الناس قبل الإسلام؟

تذكّروا قومَ عاد وثمود وفرعون ولوط ونوح (عليهما السلام).

وليذكر كلّ منكم كم عرف من أناس وقعوا في شرك الشيطان وماتوا بعد أن قضوا حياتهم في الهوى فخسروا الدنيا والآخرة؟!

وعلى كلّ حال فإنّ العقل السليم يوجب على الإنسان أن يحذر بشدّة عدوّاً خطراً كهذا، لايتورّع عن أيّ شيء، ولا يرحم أيّ إنسان أبداً، وقرابينه في كلّ زاوية ومكان هلكى صرعى، وأن لايغفل عنه

طرفة عين أبداً.

ولنقرأ مايقول أميرالمؤمنين عليّ (عليه السلام): «فاحذروا ـ عباد اللّه ـ عدوَّ اللّه، أن يعديكم بدائه، وأن يستفزّكم بندائه، وأن يجلب عليكم بخَيله ورَجِله، فلعَمري لقد فوَّق لكم سهمَ الوعيد، وأغرق إليكم بالنزع الشديد، ورماكم من مكان قريب، فقال: ﴿ربِّ بما أغويتني لأزينَّ لهم في الأرض ولأغوينّهم أجمعين﴾.

* * * *

﴿هذه جهنّمُ الّتي كنتم تُوعَدون(٦٣) إصْلَوها اليومَ بما كنتُم تكفُرون(٦٤) اليومَ نختِمُ علىٰ أفواهِهم وتُكلّمنا أيديهمْ وتَشهَدُ أرجُلُهم بما كانوا يكسبُون(٦٥) ولو نشاءُ لطَمسْنا على أعينهم فاستبقُوا الصِّراطَ فانّىٰ يُبصِرون(٦٦) ولو نشاءُ لمسَخناهُم علىٰ مكانتهم فما استطاعوا مُضيّاً ولا يرجعون(٦٧)﴾.

نافذة صغيرة علىٰ جهنّم

في ذلك اليوم وحينما تظهر جهنّم للمجرمين الكافرين يُذكّرهم اللّه بوعده، والآية تشير إلى ذلك فتقول: ﴿هذه جهنّم التي كنتم توعَدون﴾ فقد بعثنا إليكم الأنبياء واحداً بعد واحد، وحذّروكم من هذا اليوم ومن هذه النار، ولكنكم لم تأخذوا أقوالهم إلاّ علىٰ مَحمل السخرية والإستهزاء.

وقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انّ لجهنّم مائة الف

عنان، يمسك بها مائة الف ملك، فمائة الف من الملائكة يجرّون جهنّم نحو بيداء المحشر والسنة اللهب تعلو الجبال، فيخرّ الجميع أمامها من الخوف ﴿وترى كلّ أمّة جاثية﴾[1] كلّ واحد يقول: نفسي نفسي إلاّ خاتم الأنبياء محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم﴾ يقول: أمّتي أمّتي.

روي عن الإمام اميرالمؤمنين (عليه السلام) في وصف النار: «قعرها بعيد وحرُّها شديد وشرابها صَديد وعذابها جديد ومقامها جديد، لا يفتّرُ عذابها ولا يموت ساكنها، دارٌ ليس فيها رحمة ولا تسمع لأهلها دعوة، فينادي المنادي: ﴿هذه جهنّم التي كنتم توعدون﴾[2].

ولكن دخول جهنّم نوعان: احدهما دخول يعقبه خروج وخلاص، والآخر دخول ليس له خروج وهذه خاصّة للذين وقعوا في شرك الشيطان وماتوا وهم كفّار، امّا الذين ليسوا من المنكرين المكذّبين غير ان الذنوب شابت عملهم ومسلكهم فإنّهم يدخلون النار ثمّ يخرجون منها بالشفاعة، اي انهم لا يُخلَّدون فيها.

وبعبارة أخرىٰ: انّ اهل جهنّم ينقسمون إلى قسمين:

١ ـ الخالدين في النار.

٢ ـ الخارجين من النار.

﴿إصلوها اليومَ بما كنتم تكفرون﴾ اي أدخلوا وذوقوا عذاب قهر اللّه بما كفرتم.

---

(١) سورة الجاثية، الآية ٢٨.

(٢) بحار الانوار ج٧ ص١٠٣.

أعضاء الإنسان تشهد يوم القيامة

ثم يشير تعالىٰ إلى شهود يوم القيامة، أولئك الشهود الذين هم جزء من جَسد الإنسان، حيث لا مجال لإنكار شهادتهم فيقول تعالى:

﴿اليومَ نختم علىٰ أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهدُ أرجلُهم بما كانوا يكسبون﴾.

إذا جمَع اللّه (عزَّوجل) الخَلق يوم القيامة دفَع إلى كلّ إنسان كتابه فينظرون فيه فينكرون انّهم عملوا من ذلك شيئاً فتشهد عليهم الملائكة، فيقولون: ياربّ ملائكتك يشهدون لك. ثم يحلفون أنهم لم يعملوا من ذلك شيئاً وهو قوله (عزَّوجل) ﴿يومَ يبعثهم اللّه جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم﴾ فإذا فعلوا ذلك ختم اللّه على ألسنتهم وتنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون، الأمر الذي يثير عجب أولئك المجرمين ووحشتهم ويُغلق عليهم جميع طرق الفرار والخلاص، حيث يجعل اللّه (عزَّوجل) في كلّ واحد من تلك الأعضاء القدرة على التكلّم والشعور وهي تقوم بنقل الحقيقة بصدق، فاليد تشهد عليه بما ضرب وسرق وكتب، والرِّجل بما سعى، والعين بما نظر.. وهكذا[1]

واختلف في كيفيّة شهادة الجوارح على وجوه:

أحدها: إنّ اللّه تعالىٰ يخلقها خلقة يمكنها ان تتكلّم وتنطق

---

(١) قال تعالىٰ: ﴿يومَ تشهدُ عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾ سورة النور، الآية ٢٤.

وتعترف بذنوبها.

ثانيها: إنّ اللّه تعالىٰ يجعل فيها الكلام، وإنّما نسب الكلام إليها لأنه لايظهر إلّا من جهتها.

ثالثها: إنّ معنى شهادتها وكلامها أنّ اللّه تعالىٰ يجعل فيها من الآيات مايدلّ على أنّ أصحابها عصوا اللّه بها، فسمّي ذلك شهادة منها، كما يقال: عيناك تشهدان بسهرك.[1]

يقول الإمام الباقر (عليه السلام): وليست تشهد الجوارح على مؤمن، إنّما تشهد على من حقَّتْ عليه كلمة العذاب، فأمّا المؤمن فيعطىٰ كتابه بيمينه، قال اللّه (عزَّوجل): ﴿فأمّا مَن أُوتي كتابه بيمينه فأُولئك يقرأون كتابهم ولا يُظلمون فتيلاً﴾[2] فعمل الخير ـ مهما صَغُر ـ يراه صاحبه أمامه، وكذلك عمل الشرّ: ﴿فمن يعمل مثقال ذرَّة خيراً يَره، ومن يعمل مثقال ذرَّة شراً يره﴾[3].

فالويل لنا عندما نقف أمام هذه المحكمة! يوم ظهور العدل الإلهي التامّ الأكمل، فبالرغم من أنّ الإنسان نفسه عارف بما فعل، إلّا انه لايُقرُّ ولا يعترف ولكن الشهود تتقاطر من كلّ حَدَب وصوب ومن الشهود عليه أعضاؤه وجوارحه كما ذكرنا سابقاً.

---

(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٢٥٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧١.

(٣) سورة الزلزلة، الآية ٤ ـ ٥.

الشُّهود يوم القيامة

ويستفاد من الآيات القرآنيَّة والأحاديث الشريفة انّ الشهود يوم القيامة متعدّدون وهم:

أوّلاً: اللّه سبحانه فهو عالم الغيب والشهادة.

ثانياً: الرسول (صلّى اللّه عليه وآله وسلم): ﴿وجئنا بكَ علىٰ هؤلاء شهيداً﴾ ﴿ويكونَ الرسول عليكم شهيداً﴾.

ثالثاً: الأئمّة الطاهرون (عليهم السلام): ﴿وقل اعملوا فسيرىٰ اللّه عملكم ورسولُه والمؤمنون﴾ حيث صرَّحت الأحاديث الشريفة ان «المؤمنون» في الآية هم الأئمّة الطاهرين من آل محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم).

رابعاً: الملائكة: ﴿وإنّ عليكم لحافظين كراماً كاتبين يكتبون ما تفعلون﴾.

خامساً: الأرض: ﴿يومئذٍ تحدّث اخبارها، بانّ ربّك أوحىٰ لها﴾.

سادساً: الناس: ﴿وكذلك جعلناكم أمّة وَسَطاً لتكونوا شهداء على الناس﴾.

سابعاً: الأعضاء والجوارح: ﴿اليوم نختم علىٰ افواههم وتكلّمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون﴾.

فاتّق اللّه ـ أيّها الغافل ـ وإيّاك ان يراك اللّه تعالىٰ عند معصيته أو يفقدك عند طاعته فتكون من الخاسرين، وعليك بقراءة القرآن والعمل

بما فيه ولزوم فرائضه وشرائعه وحلاله وحرامه وأمره ونهْيه والتهجُّد به وتلاوته في ليلك ونهار، فإنّه عهدٌ من اللّه (تبارك وتعالىٰ) إلى خلقه، فهو واجب على كلّ مسلم أن ينظر كلّ يوم في عهده ولو خمسين آية.[1]

واعلم أنّ درجات الجنّة بعدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارىء القرآن: إقرأ وارقَ، فلا يكون في الجنّة بعد النبيّين والصدّيقين أرفع درجة منه.[2]

يقول الإمام الصادق (عليه السلام): «إذا تاب العبد توبةً نصوحاً أحبَّه اللّه، فستر عليه في الدنيا والآخرة.

فقيل: وكيف يستر عليه؟

قال: يُنسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب ويوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض: اكتمي ماكان يعمل عليكِ من الذنوب، فيلقىٰ اللّه حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب».[3]

ثم أخبر سبحانه عن قدرته على إهلاك هؤلاء الكفّار الذين جَحدوا وحدانيَّته فقال:

﴿ولو نشاء لطمسنا[4] على اعينهم﴾ إشارة إلى استحقاق الكفّار

---

(١) الكافي ج ٢ ص ٦٠١ ح ١ باب فضل القرآن.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٥٩٨ ح ١٠ باب فضل القرآن.

(٣) أصول الكافي ج١ باب التوبة.

(٤) الطمس: هو المحو بشكل تزول معه آثار الشيء المطموس أيضاً، وهذا مايدعوه بالعمى.

والمشركين الذين قُرأت على مسامعهم الآيات البيّنات فأعرضوا عنها. لو أراد اللّه سبحانه أن يعاقب المجرمين في الدنيا لسلب أعينهم فتزول نهائيّاً فلا يبقى منها أثر حتى الحَدَقة، كما فعل مع قوم لوط عندما أشار أحد ملائكة العذاب على القوم إشارة واحدة ففقدوا معها أبصارهم ولم يبق لمواضع أعينهم أثر.

﴿فاستبقوا الصراط فانّىٰ يبصرون﴾ فالذي يفقد عينيه كيف بإمكانه أن يهتدي إلىٰ طريق الحقّ والصراط المستقيم؟ فهم عاجزون حتّى عن العثور على الطريق إلى بيوتهم.

ثم تنتقل الآيات إلى عقوبة مؤلمة أُخرىٰ لهم وهي عذاب المسخ:

﴿ولو نشاء لمسخناهم علىٰ مكانتهم فما استطاعوا مُضيّاً ولا يرجعون﴾.

المسخ هو تبديل الشكل والخِلقة إلى هيئة قبيحة ومروِّعة[1]، يقول اللّه تعالى أننا لو شئنا أن نُظهر ما بطن منهم، فذلك في مقدورنا ﴿علىٰ مكانتهم﴾ أي أينما كانوا وكيفما كانوا، فبمقدورنا أن نُبدي قبحهم، شانهم شان أصحاب السبت إذ أصبحوا وقد مُسخوا قردة وخنازير، إلاّ أنّنا نُمهلهم لكي يعتبروا ويرجعوا عن ضلالتهم، فإن لم يعتبروا في الدنيا فإن قبحهم سيظهر في الآخرة، وسنمسخهم على نحوٍ لا يستطيعون معه ذهاباً ولا إياباً.

وقد جاء في الدعاء الشريف: «يا من أظهر الجميل وستر القبيح».

---

(١) لسان العرب ج١٣ ص ١٠٢ مادة مسخ.

إلهي إجعل باطني حَسَناً كظاهري، ولا تمسخني علىٰ هيئة الحيوانات بعد الموت.

قيل في تفسير المسخ: إنّ المراد به التحجُّر وهي حالة الجماد حيث يفقدهم القدرة على الحركة كالتمثال الخالي من الروح. ويظلّون حيارىٰ في مشهد المحشر، وليس لهم طريق للتقدّم أو التراجُع، كما قال سبحانه: ﴿يقول الكافر يا ليتني كنتُ تراباً﴾[1] ولم أكن بشراً.

وقد اتّفق أغلب المفسّرين علىٰ أنّ هاتين الآيتين تتحدّثان عن عذاب الدنيا، وعن توجيه التهديد إلى الكفّار والمجرمين بأنّ اللّه سبحانه وتعالىٰ قادر علىٰ تعريضهم لمثل هذا العذاب في الدنيا، ولكن للطفه ورحمته يُمهلهم ويُتيح لهم الفرصة لكي ينتبهوا ويرجعوا فيها عن غيِّهم ويعودوا إلى طريق الحقّ.

* * * *

(١) سورة النبأ، الآية ٤٠.

﴿ومَن نُعمِّرهُ ننكِّسه في الخَلقِ أفلا يَعقلون(٦٨) وما علّمناهُ الشِّعرَ وما ينبغي له إنْ هوَ إلّا ذكرٌ وقرآنٌ مبين(٦٩) ليُنذرَ مَن كان حَيّاً ويَحقَّ القولُ علىٰ الكافرين(٧٠) أولم يَرَوا أنّا خَلقنا لَهُم ممّا عَمِلتْ أيدينا أنعاماً فهُم لها مالِكُون(٧١) وذلّلناها لَهم فمنها ركوبُهم ومنها ياكلون(٧٢) ولهم فيها منافعُ ومشاربُ أفلا يشكُرون(٧٣)﴾.

مراحل عُمر الإنسان

﴿ومن نُعمِّره ننكِّسه في الخَلق أفلا يعقلون﴾؟

ينقسم عمر الإنسان إلى أربعة مراحل:

١ ـ سنُّ النمو ويُسمّىٰ: سنّ الحداثة، وهو يبدأ من الولادة إلى قريب الثلاثين سنة.

٢ ـ سنّ الوقوف وهو سنّ الشباب وينتهي إلى الأربعين سنة،

فعند هذا السن يكون الإنسان قد بلغ أشُـدَّه ووَصل إلى سنّ الكمال.

٣ ـ سنّ الإنحطاط مع بقاء القوّة، فقواه لا تزيد ولا تنقص، وهو سنّ الكهول وينتهي إلى نحو ستّين سنة.

٤ ـ سنّ الإنحطاط مع ظهور الضَّعف في القوّة وهو سنّ الشيوخ إلى آخر العمر حيث تتَّجه إلى الضعف، كحالها في بداية الأمر، وتنتقص بُنيته ويتغيَّر شكله وصورته حتّى يعود إلى حالةٍ شبيهةٍ بحال الصبي في ضعف الجسد وقلّة العقل والخلوّ عن الفهم والإدراك.

وقد روي عن أبي عبدالله (عليه السلام): إذا بلغت ستّين سنة فاحسب نفسك في الموتى.

يقول الشاعر:

أراني كلّ يوم في انتقاص ولا يبقى على النقصان شيء

فعند ما يصل الإنسان إلى سنّ السبعين أو الثمانين فقد اقترب من كماله فإمّا أن يكون كمالاً من الناحية الإيجابيّة أو السلبيّة، فلو لم يصل إلى الكمال الإنساني والإيجابي فإنّ قواه الذهنية ستضعف يوماً وقد يغدو سفيهاً ويعود إلى حالته الأُولىٰ، باستثناء الإنسان المؤمن.

وفي هذه الآية التي نفسّرها يجري الحديث عن وضع الإنسان في آخر عمره، كلّما تقدَّم به السنّ تقهقر إلى الوراء، فيخرف بعد الإدراك، ويضعف بعد القوّة، والغرض من هذا البيان هو الإشارة إلى أنّ اللّه سبحانه قد أمَدَّ الإنسان بحياة كافية وافية لأن يهتدي فيها ويعمل صالحاً، وإنه لو عمَّر أكثر من المعتاد لأقعده العجز والمرض،

وكان طولُ العمر عليه شرّاً ووبالاً، قال تعالىٰ: ﴿أو لم نعمّركم ما يتذكّر فيه مَن تذكّر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾[1].

وقد روي أنّ إبراهيم الخليل كان راغباً في عمر طويل لتتسنّى له العبادة أكثر، وكان لايأكل طعاماً بدون ضيف يأكل معه، فاتّفق في احد الأيّام أنْ جاءه ضيف كبير السنّ بحيث كان يتحرّك بصعوبة بالغة وكانت يداه ترتجفان أثناء الأكل وشفتاه غير قادرتين على الإحتفاظ باللقمة، فكان لعابه يسيل مع الطعام علىٰ لحيته، فرقَّ إبراهيم (عليه السلام) لحاله كثيراً فقال له جبرائيل: هذه نتيجة الشيخوخة، فقال إبراهيم (عليه السلام): لا أريد إلاّ ماقدَّر اللّه لي من العمر.

فالعمر الطويل له هذه النتائج والمصائب.

إذن: فالموت نعمة للبشر ولولا الموت لكانت الحياة تعيسة وكان كلّ نَفَس من أنفاسه بلاء، وقد كان أحد أهل العلم بعد أن بلغ المائة عام يقول بأن جميع أمور معيشتي وصحّتي جيّدة ولكنّني أتنفّس بصعوبة، بسبب الشيخوخة.

إنّ اللّه سبحانه وتعالىٰ قد يحفظ بعض الأشخاص للعبرة وإفهام الناس بأنَّ العمر إنّما يكون نافعاً إذا استطاع الإنسان أن يؤدّي عملاً صالحاً ويهيّىء الزّاد والمتاع لآخرته، وإلاّ فالعمر الطويل ليس فيه سوى التعب والتعاسة لا أكثر.

﴿أفلا يعقلون﴾ أي أفلا يرون ذلك؟ أفلا يعقلون أنَّ مَن قَدر على ذلك قادر أيضاً على ما ذُكر من الطمس والمسخ، فإن لم نفعلها

---

(١) سورة فاطر، الآية ٣٧.

بكم في الدنيا نفعلها بكم في الآخرة إن لم تتوبوا عن الكفر والمعاصي.

إنّ من عاش حياته بالغفلة، فإنّ الأيّام والأحوال لا تزيده إلاّ غفلة وبُعداً، ومن أحيى اللّه قلبه لذكره فإنّ تقلُّب الأحوال لا تؤثّر فيه لأنّه متّصل بالحياة الحقيقيّة.

وقد وَرد عن خاتم الأنبياء محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) قولُه: «يا أباذر إغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هَرمك، وصحّتك قبل سُقمك، وفراغك قبل شُغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك»[1].

﴿وما علّمناه الشّعر وما ينبغي له إنْ هو إلاّ ذِكر وقرآن مبين﴾

كانت قريش تقول: إنّ هذا الذي يقوله محمد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) شِعر يُعبِّر عن تفكيره وخياله وليس وَحياً من عند اللّه. فردَّ عليهم سبحانه بأنّ الشعر يرتكز علىٰ عاطفة الشاعر وميوله وأهوائه، فتراه يناصر من يُحبّ وإن كان مُبطلاً، ويقاوم من يكره وإن كان مُحقّاً، والقرآن الكريم ليس كذلك بل هو القول الجِدّ والفصل وما هو بالهوى والهزل، هو كتاب عقيدة وشريعة، وأخلاق وعظات، وفيه علم وفكر. فأين الشعر من ذلك؟

ليس في الشِّعر من شيء سوى الغفلة عن اللّه وإثارة الشهوات، ولو كان القرآن من صنع محمّد (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) لبّث فيه آلامه وأحزانه وحياته وأزماته، تماماً كما هو شأن الشعراء، مع العلم بأنّ القرآن ليس كذلك.

---

(١) مستدرك الوسائل ج ١٢ ص ١٤٠.

وقد ردَّ سبحانه إتّهام نبيِّه الكريم بالشعر والكهانة في العديد من الآيات، منها قوله تعالىٰ: ﴿إنّه لقول رسولٍ كريم وما هو بقول شاعرٍ قليلاً مّا تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً مّا تذكّرون﴾[1].

ومنها قوله سبحانه: ﴿فما أنت بنعمة ربّك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر﴾[2].

ولا بأس أن نشير هنا إلى أنّ النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) كان يقدّر الشعر ويحترمه كفنٍّ له أثر إيجابي في التعبير عن رغبات الجماهير وأمانيّها، وقد اشتهر أنه قال: «إنّ من البيان لسِحراً، وإنّ من الشعر لحكمة» وكان يدعو بالتوفيق والتسديد للشعراء الذين ناصروا الحقّ وأهله، حيث قال ـ مثلاً ـ لحسّان بن ثابت: «لا تزال يا حسّان مؤيَّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك» وذلك لمّا أنشد يوم الغدير في شأن ولاية الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام).

﴿ليُنذر من كان حيّاً ويحقّ القولُ على الكافرين﴾.

إنّ القرآن الكريم يعتبر الإيمان هو الحياة ويعتبر المؤمنين هم الأحياء، والكفّار هم الموتىٰ فيقول: ﴿ليُنذر من كان حيّاً ويَحقّ القولُ علىٰ الكافرين﴾ لئن كنتم أحياء فاتّخذوا من القرآن منهجاً لعَملكم، لكي لا تُخدعوا بعد ذلك، لأنّ القرآن يهزّ كيان الإنسان الحيّ ويدفعه إلى الحركة والأمل ﴿مَن كان حيّاً﴾.

وأيّ نوع من الحياة؟

---

(١) سورة الحاقّة، الآية ٤٠.

(٢) سورة الطور، الآية ٢٩ ـ ٣٠.

الحياة الإنسانيّة التي من آثارها الأمل باللّه، فغير الإنسان لايملك هذا الأثر. انّ المؤمن هو الذي يدرك أن الأفعال كلّها بيد اللّه. لهذا فهو يتوكّل على اللّه، ورجاؤه فقط باللّه، وخوفه أيضاً منه، فالقرآن يُنذر هؤلاء الأحياء الذين يتمتّعون بحياة القلب.

والخلاصة: إنّ الناس ينقسمون حيال دعوة القرآن الكريم إلى مجموعتين:

مجموعة حيّة يقظة تلبّي تلك الدعوة، وتلتفت إلى إنذاراتها.

ومجموعه من الكفّار ذوي القلوب الميّتة، الذين لايُؤمّل منهم أيّة استجابة أبداً.

ففائدة القرآن: هداية العقلاء والأحياء، وإتمام الحجّة على الكفّار الأموات.

وهنا لابدَّ من الإشارة إلى ضرورة تلاوة القرآن وتعلّمه والتفقُّه فيه، لكي يهتدي الإنسان به ويستضيء بنوره.

وقد روي عن إمامنا وسيّدنا أميرالمؤمنين علي (عليه السلام) أنّه قال:

«وتعلّموا القرآن فإنّه أحسن الحديث، وتفقّهوا فيه فإنّه ربيع القلوب»[1].

﴿أو لم يَرَوا أنّا خلقنا لهم ممّا عَمِلتْ أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون، وذلّلناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون، ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون﴾.

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١١٠.

أو لم يعلموا أنّا خلقنا لهم بأيدي قدرتنا ـ لأجلهم ولتدبير امر حياتهم الدنيويَّة ـ انعاماً من الإبل والبقر والغنم وهي من نعم اللّه علىٰ عباده، ياكلون من لحومها ويشربون من البانها ويتّخذون من جلودها واصوافها واوبارها بيوتاً واثاثاً ولباساً وتحملهم واثقالهم إلى بلد ماكانوا بالغيه إلاّ بشِقّ الأنفس.[1]

﴿افلا يشكرون﴾ جاءت بصيغة الإستفهام الإنكاري حتّى تُحرّك الفطرة والعواطف الإنسانيّة لشكر هذه النعم التي لاتُحصىٰ، فإنّ لزوم شكر المنعم اساسي لمعرفة اللّه. إذ ان تمام الشكر لايمكن ان يكون إلاّ بمعرفة المنعم ونِعَمه.

* * * *

(١) أنظر تفسير الميزان ج٢٣ ص١١٠.

﴿واتَّخَذوا مِن دُون اللّه آلهةً لعلّهم يُنصَرون(٧٤) لا يستَطيعون نَصْرهُم وهُم لهم جُند مُحْضَرون(٧٥) فلا يَحزنك قولُهم إنّا نعلمُ ما يُسرُّون وما يُعلنون(٧٦) أو لم يَرَ الإنسان أنّا خلقناه من نطفةٍ فإذا هو خصيمٌ مبين(٧٧) وضَرَب لنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلقَه قال من يُحيي العظامَ وهي رَميم(٧٨) قل يُحييها الّذي أنشاها أوّل مرّةٍ وهو بكلّ خَلقٍ عليم(٧٩)﴾.

الأصنام العاجزة والبَشَر الجاهل

﴿واتّخذوا من دون اللّه آلهة لعلّهم يُنصرون﴾.

غريب أن يعبد العاقل أحجاراً لا تضرُّ ولا تنفع، ولكنَّ الأغرب أن يحرسها ويقوم علىٰ حمايتها من السرقة أو التحطيم، وفي الوقت نفسه يرجو أن تنصره في الشدائد وتقرِّبه من اللّه زُلفىٰ.

إنّ هؤلاء الكفّار ـ بالرغم ممّا رأوا من الآيات الإلهيَّة والنعم

الربّانيّة ـ أبَوا إلّا الانحراف والعناد والبقاء على الضلالة.

ولهذا اتّخذوا الأصنام آلهة من دون اللّه سبحانه، وهدفهم هو أن تنصرهم هذه الأصنام وتدفع عنهم العذاب والبلاء.

ولكن هؤلاء اخطأوا في هذا التصوّر، وفي انتظار النصرة من الأصنام.

﴿لايستطيعون نَصْرهم وهم لهم جُند محضرون﴾.

أي أن الأصنام لا تستطيع أن تنصر هؤلاء، بل هم يحرسون الأصنام ويُجنّدون أنفسهم لحراستها والدفاع عنها.

انّ الأصنام أعجز وأحقر من أن تنصر نفسها، فكيف تنصر غيرها؟ إنّها لا تملك شيئاً سواء كان خيراً أم شرّاً.

فيا له من أمر أليم أن يصطفَّ هؤلاء المشركون بصفوف تتقدَّمها تلك الأصنام ليدخلوا جهنّم زُمَراً في ذلك اليوم العظيم، دون أن تستطيع حلَّ عقدة مشكلة واحدة من مشكلات هؤلاء المشركين في ذلك الموقف الرهيب.

وفوق هذا كلّه قال عبدة الأصنام عن النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) انّه مجنون... لماذا؟ لأنّه لايعبد الأحجار، وهم العقلاء لأنّهم يعبدون ماينحتون!!

ولمواساة الرسول الأكرم (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) وتثبيت فؤاده إزاء كلّ هذه الخرافات والأباطيل والأعمال التخريبيّة من قبل المشركين، تقول الآية الكريمة:

﴿فلا يحزنْك قولُهم إنّا نعلمُ مايُسرّون وما يُعلنون﴾.

لا تحزن يا رسول اللّه ممّا يقولون ويدَّعُون، فنحن نعلم مايُدبِّرون في الخفاء، وما يعملون في العَلن، فلا تخفىٰ علينا نواياهم، ولا مؤامراتهم في الخفاء، ولا جحودهم وتكذيبهم لآياتنا في العَلَن، نعلم كلَّ ذلك، ونحفظ لهم جزاءهم إلى يوم الحساب، وستكون انت ايضاً في امان من شرِّهم في هذه الدنيا.

﴿او لم يَرَ الإنسانُ انّا خلقناه من نُطفة، فإذا هو خَصيمٌ مبين﴾

تُشير الآية الكريمة إلى بداية خلقة الإنسان حيث كان نطفة مَهينة لا غير، وتدعوه إلى التامّل والتفكّر.

ما هو سرّ خلق الإنسان؟

قبل ان نتكلّم عن معنى هذه الآية لابدّ ان نتعرّف علىٰ سرّ خلق الإنسان في عالم الغيب والشهادة.

فقد ذكر الشيخ الأوحد (قدس سرُّه) ـ في جميع كتبه ومصنّفاته ـ ان اللّه (عزّوجل) اخترع مادَّة الإنسان لا من شيء، ثم انزلها من خزائن غيبه من مرتبة إلى مرتبة، من الماء الأوّل ـ في عالَم الغيب ـ إلى ان وصل إلى رتبة البشر في عالَم الشهادة مروراً بثمانية عشر عالَماً من عوالم الغيب والشهادة، فخلطها بالنباتات فاكلها الوالدان وتغذّيا بها، واستقرّت المادّة في منازل ومراحل جسم الأبوين، حتّى صارت مَنيّاً، ثم انتقل ماء الرجل ـ بواسطة اجتماع الوالدين ـ إلى رحم الأم واستقرَّ فيه وصار ـ بقدرة اللّه تعالىٰ ـ نطفة ثم عَلقة ثم مُضغة ثم عظاماً ثم كُسي لحماً ثم ولج فيه الروح، كما قال سبحانه: ﴿يا ايّها الناس إنْ

كنتم في رَيب من البعث فإنّا خلقناكم من تراب ثمّ من نطفةٍ ثمّ من عَلقة ثمّ من مضغة مُخلّقة وغير مُخلّقة﴾[1].

وهذه الآية الكريمة تشير إلى المراحل والأطوار التي يمرُّ بها الإنسان كما قال سبحانه: ﴿ما لكم لا ترجون للّه وقاراً وقد خلقكم أطواراً﴾[2].

فاوّل الأطوار الستّة هو: انه خُلق من نطفة معنويَّة ثم نطفة ظِلّية ثم نطفة صوريّة ثمّ نطفة طبيعيّة ثم نطفة ماديّة ثم مثاليّة.

وثاني هذه الأطوار الستّة: ثمّ إلى الملائكة ثمّ إلى الريح ثمّ إلى السحاب ثمّ إلى الماء ثمّ إلى الأرض ثمّ إلى النبات.

وثالث هذه الأطوار الستّة: ثمّ إلى النطفة ثمّ إلى العَلقة، ثمّ إلى المضغة ثمّ إلىٰ العظام ثمّ إلى تمام الخلقة ثمّ إلى الحياة.

هذه هي المراحل التي مرَّت بها الحقيقة البشريّة والوجود البشري بكلّ معانيه الماديّة والمجرّدة وغيرها.

إذن: فالإنسان خُلق في ظلمات ثلاث، وكلّ ظلمة في ستّة أطوار، فهذه ثمانية عشر عالَماً في الغيب والشهادة.

---

(١) سورة الحج، الآية ٥.

(٢) سورة نوح، الآية ١٣.

شجرة المُزن وشجرة الزقّوم

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنّه قال: إنَّ اللّه إذا أراد أن يخلق المؤمن من المؤمن والمؤمن من الكافر بعث مَلكاً فأخذ قطرةً من ماءالمزن فألقاها على ورقةٍ فأكل منها احد الأبوين، فذلك المؤمن منه.[1]

وعنه (سلام اللّه عليه) انه قال: إنّ في الجنّة لشجرة تُسمّىٰ المُزن، فإذا أراد اللّه ان يخلق مؤمناً أقطر منها قطرةً فلا تصيب بقلة ولا ثمرة ـ أكلَ منها مؤمن أو كافر ـ إلّا اخرج اللّه (عزّوجل) من صلبه مؤمناً.[2]

إعلم ـ أيّها القارىء الكريم ـ أنّ اللّه تعالىٰ ـ بلطيف صُنعه ـ قد خلق شجرةً تحت العرش اسمها: المُزن، تقع منها النُطَف كقطر المطر اللطيف على الشجر والثمار والبقول، فما أكل تلك التي وقعت عليها تلك القطرة ـ من شجرة المُزن ـ مؤمن أو كافر إلّا خرج من صلبه مؤمن.

وإنَّ اللّه تعالىٰ بلطيف صُنعه أنبت شجرة الزقّوم في أصل الجحيم، وتلك الشجرة منكوسة عروقها في طينة خبال ـ وهي سِجِّين ـ وثمارها في الجحيم، تصعد من هذه الشجرة أبخرة إلى أرض الدنيا، فتقع النُطَف ـ وهي القطر منها ـ على الشجر والثمار والبقول، فما أكل تلك التي وقعت عليها تلك القطرة من شجرة الزقّوم مؤمن أو كافر

---

(١) بحار الأنوار ج ٦٤ ص ٧٧.

(٢) الكافي ج ٢ ص ٦٤٠.

إلاّ وخرج من صُلبه كافر.

والآن نشرح الآية الكريمة:

﴿أو لم يَرَ الإنسانُ أنّا خلقناه من نطفةٍ، فإذا هو خصيمٌ مبين﴾.

أو لم يعلم الإنسان أنّه كان بالأمس نطفة، حتّى إذا صار ـ بقدرة اللّه ـ مخلوقاً سويّاً ذافهم وبيان نسي أصله، وخاصم ربّه بالعصيان؟!!

إنّ الآية تؤكّد ـ أوّلاً ـ على مخاطبة الإنسان ـ أيّاً كان وايّ اعتقاد كان يعتقد ـ بأنّه يستطيع إدراك هذه الحقيقة، ثم تتحدّث عن النطفة ـ والتي هي لُغويّاً بمعنى الماء المهين ـ لكي يعلم هذا الإنسان المغرور المتكبّر ماذا كان في البدء؟!

وانّ هذا الماء المهين لم يكن هو السبب في نشأته وظهوره، بل كان خليَّة حيّة متناهيةً في الصِغَر من ضمن الملايين من الخلايا الأُخرىٰ تسبح في ذلك الماء المهين، وباتّحادها مع خلية صغيرة أُخرىٰ مستقرّة في رَحم المرأة تكوَّنت الخلية البشريَّة الأُولى (الزيجوت) ودخل الإنسان إلى عالَم الوجود، وتتواصل مراحل التكامل الجيني الواحدة بعد الأُخرىٰ من نطفة ثم عَلقة، ثم مُضغة، ثم عظام، ثم إكتساء العظام باللحم، واخيراً تمثّل الخَلق السويّ، وبعد الولادة يكون هذا الإنسان كائناً ضعيفاً جدّاً، فعلى الإنسان أن يذكر أصل خلقه وتكوينه[1].

---

(١) كما قال تعالىٰ: ﴿أو لا يذكر الإنسان أنّا خلقناه مِن قَبلُ ولم يكُ شيئاً﴾ سورة مريم، الآية ٦٧.

نعم . . هذا الموجود الضعيف العاجز، يصبح قوياً إلى درجة ان يسمح لنفسه النهوض لمحاربة الدعوات الإلهيّة، وينسى ماضيه ومستقبله!! فيا له من غافل احمق!!

اللّه الخالق يحيي العظام وهي رميم

﴿وضَرَبَ لنا مَثَلاً ونَسِيَ خَلقَه قال مَن يُحيي العِظامَ وهي رَميم﴾ .

ذكروا في سبب نزول هذه الآية انّ نفراً من قريش إعترضوا طريق رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) ـ منهم عتبة بن ربيعة، وأُبيّ بن خلف والوليد بن مغيرة والعاص بن وائل ـ فمشى إليه أُبيّ بن خلف بعظم رميم ففتّته في يده ثمّ نفخه وقال: اتزعم ان ربَّك يُحيي هذا بعد ما ترى؟!

فأجاب اللّه تعالىٰ عن هذا التساؤل الأحمق بهذه الآية الشريفة.[1]

في الآية التالية يامر اللّه سبحانه وتعالى رسوله (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) بان يقول لهذا المغرور الأحمق الناسي:

﴿قل يحييها الّذي انشاها اوّل مرّة وهو بكلّ خَلق عليم﴾ .

قل يا رسول اللّه: إنّ الذي اوجدها بدايةً من العدم، هو الذي يوجدها للمرّة الثانية، وهل الثانية اصعب من الأُولىٰ؟!

إنّ اللّه القادر علىٰ الإيجاد قادر على الإعادة.

---

(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٤٣٤.

جزئيات الجسم ليست خارجة عن علم اللّه

إنّ القرآن الكريم يُحدّثنا عن قصةٍ من قصص إحياء الموتى حدثتْ للنبي إبراهيم (عليه السلام) فيقول: ﴿وإذ قال إبراهيم ربّ أرني كيف نُحيي الموتىٰ قال: أو لم تؤمن؟ قال بلىٰ ولكن ليطمئنَّ قلبي، قال: فخذ أربعة من الطير فصُرْهنَّ إليك ثمّ اجعل علىٰ كلّ جبل منهنَّ جزءً ثمّ ادعهنّ يأتينك سعياً﴾[1].

وذكر في التفاسير أنّ إبراهيم (عليه السلام) إحتفظ برؤوس الطيور عنده فلمّا دعاها إليه رجعت أجزاء كلّ واحد من الطيور إلى ماكانت عليه وجاءت أبدان الطيور إلى رؤوسها فالتصقت، وأراد إبراهيم اختبارها فوضع رأس أحدها أمام جسد غيره فلم يلتصق حتّى جعله أمام جسده فالتصق به وعادت الطيور الأربعة إلى الحياة مرّة أخرىٰ.

وهنا سؤال قد يخطر على الأذهان وهو: انّ هذه الذرّات المتفرقّة قد تبدّلت وتغيَّرت كثيراً فكيف يمكن أن تجتمع بعد ذلك؟

الجواب: إنّ هذه الشبهة ناشئة من الغفلة عن علم اللّه وقدرته لأنَّ اللّه تعالى (أحاط بكلّ شيء علماً)، فلا تخرج ذرَّة واحدة عن إحاطته العلميّة، والشيء الآخر إنه تعالىٰ علىٰ كلّ شيء قدير، فلو أن الانسان يفكّر في خِلقة نفسه لدلَّه ذلك علىٰ خالقه، لأن كلّ إنسان يعلم أنّه ليس بقديم فهو يرىٰ نفسه وغيره مخلوقاً حادثاً، ويعلم انه

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

لم يخلق نفسه لأن الخالق لابدَّ أن يسبق المخلوق، وأيضاً لو كان قد خلق نفسه لاستطاع ان يدفع عنها الآفات والأوجاع والأمراض والموت، مع العلم انه عاجز عن ذلك، فيثبت ـ إذن ـ أنّ لها خالقاً مدبّراً وهو اللّه الواحد القهّار.

وعلى كلّ حال: فإنّ اللّه تعالىٰ عالم بهذه الذرّات مهما تحوّلت وتبدّلت، كما أنّه قادر علىٰ جمعها مرّة أُخرىٰ لتنال الثواب والعقاب الذي تستحقّه.

قال تعالى: ﴿بلىٰ قادرين علىٰ أن نُسَوِّيَ بَنانَه».

﴿الّذي جَعل لكم من الشَّجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه تُوقِدون(٨٠) أو ليسَ الذي خَلَق السَّماواتِ والأرضَ بقادرٍ علىٰ أن يَخلق مِثْلَهم بلىٰ وهو الخلاّق العليم(٨١) إنّما أمرُه إذا أراد شيئاً أنْ يقول له كُنْ فيكون(٨٢) فسُبحانَ الذي بيدهِ مَلكوتُ كلّ شيء وإليهِ تُرجَعون(٨٣)﴾.

نموذج من القدرة الإلهيّة

﴿الّذي جعل لكم من الشَّجر الأخضر ناراً فإذا انتم منه تُوقِدون﴾.

هذه الآية تقدّم نموذجاً من قدرة اللّه سبحانه كإثبات علىٰ قدرته على إحياء الموتىٰ ولرفع استبعاد جعل الشيء الميّت شيئاً حياً، والحياة والموت متنافيان والجواب انه لااستبعاد فيه فالشجرة الخضراء الرطبة توقَد منها النار بقدرة اللّه! فالماء والنار متضادّان غير انّ يد القدرة الإلهيّة قد جمعتْهما دون أن يؤثّر احدُهما على الآخر.

وهذا المثال يوضّح فكرة البعث.

بيان ذلك: ان المنكرين استبعدوا إحياءَ الموتى، لا لشيء إلاّ ظنّاً منهم انّ الأشياء لايمكن ان تتحوّل إلى اضدادها، فاجابهم سبحانه بانّ هذا الظنّ وهمٌ وخيال، لأنَّ هذا التحوّل واقع بالفعل ومحسوس وترونه ولكن لا تتنبّهون إليه. فشجرة (المرخ والعفار)[1] إحداهما ذكرٌ والأخرى أُنثىٰ، إذا سحق المرخ على العفار ـ وهما خضراوان يقطر منهما الماء ـ تتقدّح النار بإذن اللّه. فحصول الحيّ من الميّت ليس بأعجب من انقداح النار من الشجرة الخضراء وهما متضادّان، فكيف تنكرون إحياء العظام البالية وتقرُّون بتحوّل الأشجار إلى نار مع انّ الجميع من باب واحد وهو انقلاب الشيء من حقيقة إلى ضدّها؟

الخلاصة: يريد اللّه سبحانه القول بانّ الذي يستطيع إشعال النار من هذا الشجر الأخضر له القدرة على ان يُلبس الموتى لباس الحياة، فالماء والنار شيئان متضادّان، فالذي يستطيع جعلهما معاً في مكان واحد، قادر على جعل الحياة والموت معاً في مكان واحد.

بعد ذلك يأتي تعالىٰ على ذكر نظام السماوات والأرض على نحو الإجمال فيقول:

﴿او ليسَ الذي خَلق السماواتِ والارضَ بقادر على انْيَخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلاّق العليم﴾

---

(١) المرخ شجرة تكون في ناحية بلاد المغرب فإذا أرادوا أن يستوقدوا النار اخذوا من تلك الشجرة عوداً فحكوه ببعضه فاستوقدوا النار. مجمع البيان ج٨ ص٤٣٥.

الإستفهام للإنكار والآية بيان للحجّة السابقة في قوله: ﴿قل يُحييها الّذي انشاها اوّل مرّة﴾.

الآية تطرح الموضوع بصيغة السؤال وهو: أو ليسَ مَن خَلَقَ الكون واوجده من لا شيء يكون قادراً على إحياء الإنسان مرّة أُخرىٰ ومحاسبته علىٰ اعماله وافعاله متىٰ اراد ذلك؟ فإذا اراد اللّه قيام القيامة فإنّ ذلك يحدث بلحظة واحدة، ويعود الجميع إلى الحياة في لحظة واحدة ايضاً.

إنّ نظام السماوات ـ بما فيها من آلاف المجرّات وفي كلّ واحدة منها آلاف الكواكب التي لا يمكن تحديد المسافات فيما بينها إلاّ بالسنين الضوئيّة ـ اكبر بكثير مِن خَلق الإنسان.

وقد روي عن الإمام الرضا (عليه السلام) انّه قال ما معناه: إنّ ما خلقه اللّه في الأرض هو قطرة بالنسبة إلى السماء الأُولىٰ، وما في السماء الأُولى بالنسبة إلى السماء الثانية هو كقطرة بالنسبة إلى البحر، وفي جنب السماء الثالثة كذلك حتّى السماء السابعة في مقابل العرش.

﴿بلىٰ وهو الخلاّق العليم﴾ اجل فاللّه خلاّق اي كثير الخلق، وفعله كذلك غير محدود، ونظام الخِلقة لا حدّ له، واللّه تعالىٰ عليم وبعلمه اوجد هذا النظام، انّك تنظر إلى الساعة فتدرك أن صانعها لابدّ ان يكون إنساناً عليماً فما تقول في هذا الكون الواسع الشاسع؟!

ان جميع الحكماء يقولون بانه لايوجد أيّ نقص على الإطلاق في بناء جسم الإنسان كما انه ليس هناك شيء زائد فيه.

ولو انّ أهل العقل والقدرة من البشر اجتمعوا وارادوا إعادة ترتيب أعضاء جسم الإنسان على غير الذي هو عليه لما استطاعوا شيئاً أبداً.

أفلا يستطيع الخلاّق العليم ان يعيد الخلق مرَّة أخرىٰ؟ ﴿بلى وهو الخلاّق العليم﴾.

﴿إنّما أمره إذا اراد شيئاً انْ يقول له كن فيكون﴾.

الآية تصف كلمة الإيجاد وتبيّن انّه تعالى لايحتاج في إيجاد شيء ممّا أراده إلىٰ سبب يوجد له ما اراده او يُعينه في إيجاده او يدفع عنه مانعاً يمنعه.

فقوله تعالىٰ: ﴿إنّما امرُه﴾ الظاهر انّ المراد بالأمر الشان، بمعنى أنّه جيء به لكونه مصداقاً للشان لا بمعنى مايقابل النهي.

وقوله ﴿إذا اراد شيئاً﴾ أي إذا اراد إيجاد شيء، وقد ورد في عدّة من الآيات القضاء مكان الإرادة كقوله تعالى: ﴿إذا قضىٰ أمراً فإنّما يقول له كن فيكون﴾[1].

ولا ضير فالقضاء هو الحكم، والقضاء والحكم والإرادة من اللّه شيء واحد[2] وهو كون الشيء الموجود بحيث ليس له من اللّه سبحانه إلاّ أن يوجد، وقوله ﴿ان يقول له كن فيكون﴾ خبر ﴿إنّما امرُه﴾ اي يخاطبه بكلمة: كن، فقدرة اللّه هي قدرة الإيجاد من العدم، إيجاد مالم يكن موجوداً في الأصل.

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٧، آل عمران، ٤٧، مريم ٣٥.

(٢) فإنّ هذه الإرادة صفة فعلية خارجة عن الذات، منتزعةٌ عن مقام الفعل.

وقد وردت كلمة (كن) في عدّة مواضِع من القرآن وهي امر بالكينونة و(الفاء) هي للإتّصال فما ان يقول للشيء كن إلّا ويكون فوراً دون ايّ فاصل.

وما من شكّ انّه ليس المقصود هنا (كن) اللفظية كان ينطق تعالىٰ بكلمة كن، ولو كان هو المقصود للزم وجود مخاطب يوجّه إليه الأمر. وبديهي انّ المخاطب هنا لا وجود له فهو معدوم أصلاً، بل المقصود هو مجرّد إرادته لإيجاد وإبداع الشيء. وإنّما استخدم التعبير بـ(كن) لأنّه ليس هناك تعبير اقصر واصغر واسرع يمكن تصوّره في التعبير عن تلك الحقيقة، فإرادته لإيجاد الشيء ووجوده هي عملية واحدة، وبتعبير اشدّ وضوحاً فإنّ افعال اللّه سبحانه وتعالى تمرّ بمرحلتين لا ثالث لهما: مرحلة الإرادة ومرحلة الإيجاد، وهي التي عبَّرت عنه الآية بشكل امر وقول وجملة (كن).

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) انّه قال: لمّا صَعد موسى (عليه السلام) إلى الطّور فناجىٰ ربّه عزَّوجل قال: ربّ أرني خزائنك.

قال: يا موسى إنّما خزائني إذا أردت شيئاً ان اقول له كن فيكون.

وما اجمل ما قاله اميرالمؤمنين (عليه افضل الصلاة والسلام) في خطبة له: «يقول لِما اراد كونه: «كن» فيكون، لا بصوت يُقرع، ولا نداء يُسمع، وإنّما كلامه سبحانه فِعلٌ منه انشاه، ومثله لم يكن من قبلِ ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً[1].

---

(١) تفسير نور الثقلين، ج ٤ ص ٣٩٧ ح٩٣.

وقال علي بن عيسى في قوله تعالى: (كن فيكون): الأمر هاهنا أفخم من الفعل فجاء للتفخيم والتعظيم، قال: ويجوز أن يكون بمنزلة التسهيل والتهوين فإنّه إذا أراد شيئاً فَعَله بمنزلة مايقول للشيء كن فيكون في الحال، وانشد:

فقالت له العينان سمعاً وطاعةً وحدّرنا كالدّر لمّا يُثقَب[1]

وفي الكافي بإسناده عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن -موسى بن جعفر- (عليه السلام): أخبرني عن الإرادة من اللّه ومن الخَلق.

فقال: الإرادة من الخلق الضمير ومايبدو لهم بعد ذلك من الفعل، وأمّا من اللّه فإرادته إحداثه، لا غير ذلك لأنّه لا يروّي ولا يهمُّ ولا يتفكّر، وهذه الصفات منفيّة عنه وهي صفات الخلق، فإرادة اللّه الفعل لا غير ذلك ﴿يقول له كن فيكون﴾ بلا لفظ ولا نُطق بلسان ولا همّة ولا تفكّر، ولا كيف لذلك كما أنّه لا كيف له.[2]

﴿فسبحان الّذي بيده ملكوت كلّ شيء وإليه تُرجَعون﴾.

هذه الآية الأخيرة تنهي البحث في مسالة المبدا والمعاد بشكل جميل وبطريقة الإستنتاج الكلّي، ومعناها: أي تنزّه ربّنا عن الشريك وهو وحده المُبدىء والمعيد، فالحاكميّة والمالكيّة المطلقة بدون أدنىٰ قيد أو شرط بيده وكذلك فإنّ اللّه سبحانه منزّه ومبرّا عن أيّ عجز أو نقص في القدرة، وبهذا الشكل فإنّ إحياء الموتىٰ وإلباس العظام المتفسّخة

(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٤٣٠.

(٢) تفسير نور الثقلين ج ٤ ص ٣٩٧.

لباس الحياة من جديد، كلّ ذلك لن يشكّل أيّة مشكلة او صعوبة لأنكم جميعاً إليه تُرجعون، فيجازيكم بالثواب والعقاب على الطاعات والمعاصي على قدر اعمالكم، فافضل بشارة للمؤمن هي الرجوع إلى اللّه كما أنّها بالنسبة للكافر هي اسوأ خبر، فالمؤمن مرجعُه إلى اللّه الرحيم، والظالمُ مرجعُه إلى اللّه القهّار المنتقم.

أيّها القارىء الكريم: كان هذا شرحاً موجزاً وتفسيراً مختصراً لقلب القرآن الكريم وهي سورة يس.

إلٰهي: آمِنّا في يوم الفزع الأكبر ولا تحاسبنا بعدلك ولكن حاسبنا بلطفك وفضلك.

اللهم افعل بنا ما انت اهله واجعلنا من الناجين والفائزين بحقّ محمّد وآله الطاهرين (صلواتك عليهم اجمعين).

والحمد للّه ربّ العالمين.

الأمَة الفقيرة المقِرّة بالعجز والتقصير

المحتاجة إلى رحمة ربّها وإلى دعائكم

زمزم القطان

المراجع

١) القرآن الكريم

٢) نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين. جمع الشريف الرضي.

٣) أصول الكافي للكليني محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي.

٤) أصول الدين للسيد عبد الحسين دستغيب .

٥) إرشاد القلوب للديلمي الشيخ الحسن بن محمد .

٦) آيات منتخبة من القرآن الكريم. للسيد مهدي الخطيب.

٧) احقاق الحق للعلامة آية الله الحاج ميرزا موسى الاسكوئي الحائري

٨) النور المبين في تفسير القرآن الكريم. ابراهيم الانصاري.

٩) بحار الأنوار العلامة الشيخ محمد باقر المجلس.

١٠) تفسير البرهان السيد هاشم بن سليمان الحسيني .

١١) تفسير القمي لابن الحسن علي ابراهيم القمي.

١٢) تفسير الميزان السيد محمد حسين الطبطبائي .

١٣) تفسير الثقلين آية الله المعظم الميرزا عبد الرسول الحائري الاحقاقي.

١٤) تفسر الأمثل الشيخ ناصر مكارم الشيرازي .

١٥) تفسير روح البيان الشيخ اسماعيل حقي البروسوي .

١٦) تفسير الكاشف الشيخ محمد جواد مغنية .

١٧) تفسير الصافي	الفيض الكاشاني.
١٨) تفسير آية البسملة	للأمام الخميني .
١٩) تفسير العسكري	للإمام الحسن بن علي العسكري (ع)
٢٠) تفسير نور الثقلين	للشيخ عبد علي بن جمعة الحويزي
٢١) ثواب الأعمال و عقاب الأعمال.	للشيخ محمد بن علي بن الحسين القمي.
٢٢) الخصال للصدوق	للشيخ محمد بن علي بن الحسين القمي.
٢٣) الدر المتنور للسيوطي	عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي .
٢٤) رسائل الشيخ الأوحد	الشيخ أحمد بن زين الدين الإحسائي
٢٥) رسالة الإنسانية	للإمام المصلح ميرزا حسن الحائري الإحقاقي.
٢٦) السفينة السائرة في فضائل العترة الطاهرة.	للشيخ كاظم حمد الإحسائي النجفي.
٢٧) شرح الزيارة الجامعة الكبيرة	للشيخ الأوحد أحمد بن زين الدين الإحسائي.
٢٨) عيون أخبار الرضا (ع)	للشيخ محمد بن علي القمي
٢٩) عين الحياة ج١	العلامة الشيخ محمد باقر المجلس .
٣٠) العلامة الجليل أحمد بن زين الدين الإحسائي في دائرة الضوء	محمد علي إشبر
٣١) غاية المرام	السيد هاشم بن سليمان البحراني.
٣٢) فوائد المشاهد	الشيخ جعفر التستري .
٣٣) كتاب التوحيد للصدوق	للشيخ محمد بن علي القمي.

٣٤) قلب القرآن	السيد عبد الحسين دستغيب.
٣٥)-لسان العرب لابن منظور	جمال الدين ابن الفضل .
٣٦) مستدرك الوسائل	ميرزا حسين النوري .
٣٧) معاني الاخبار	للشيخ الجليل الصدوق.
٣٨) مجمع البيان	للشيخ الطبرسي .
٣٩) من لا يحضره الفقيه	للشيخ ابن جعفر الصدوق .
٤٠) وسائل الشيعة	الحر العامي محمد بن الحسن.
٤١) ينابيع المودة	سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي.

الفهرس

إهداء ٥
المقدّمة ١٣
لماذا سُمّيت قلبَ القرآن؟ ١٥
محتوى السورة ١٧
فضائل سورة يس وآثارها في النشاتين ١٨
الإستعاذة من الشيطان الرجيم ٢٢
البِسْملة ٢٧
اهميَّة البسملة ٢٧
مِن موارد استحباب البسملة ٢٨
معنى البسملة ٣٠
وامّا الرحيم ٣٥
ارتباط البسملة بالسورة ٣٦
عظمة بسم اللّه الرحمن الرحيم ٣٧
فضيلة البسملة ٣٨

الجهر بالبسملة ٣٩
امّا غير الشيعة ٤٣
سورة (يس) مكّية إلاّ آية واحدة وعدد الآيات ٨٣ ..... ٤٥
الحروف المقطّعة في القرآن ٤٥
اهمّية القرآن والرسول ٤٨
الفرق بين النبي والرسول ٤٩
الصراط المستقيم ٥٠
العزيز الحكيم ٥١
عاقبة المكذّبين ٥٢
الحُجُب الغيبيّة ٥٥
مَن ينتفع بالإنذار ومَن لا ينتفع؟ ٦٠
نافذة على عالَم الآخرة ٦٣
قصّة الرُسُل الثلاثة ٧٠
القصة ٧١
التَطيُّر والتشاؤم حقيقة ام خيال؟ ٧٦
الانسان يانس بما يناسبه ٧٨
قصّة حبيب النجّار ٧٩
الإستدلال بالمبدا والمعاد ٨٢
الخوف والرجاء ٨٣
لا خير في عبادة غير اللّه ٨٥
شهادة حبيب النجار ٨٧
الجنّة تستقبل الشهيد ٨٨

الثواب والعقاب البرزخي ٨٩
نزول العذاب على قتلة حبيب النجّار ٩٢
الحسرة والندامة في الآخرة ٩٤
ضرورة الإعتبار بالأمم الماضية ٩٦
نماذج من قدرة اللّه تعالىٰ ٩٦
بالشكر تدوم النعم ٩٩
قانون الزوجيَّة في الموجودات ١٠١
الليل والنهار آيتان من قدرة اللّه تعالىٰ ١٠٢
نظام الشمس والقمر ١٠٧
تطابق الآفاق والأنفس ١١٠
دَور البحار في حياة الإنسان ١١٠
الإنسان المعاند ١١٤
النفخُ في الصُّور ١١٨
القيامة تقوم بنفختين ١٢٠
نافذة علىٰ نعيم الجنّة ١٢٥
تمييز المجرمين عن غيرهم ١٣٧
لا تعبدوا الشيطان ١٣٨
من هو الشيطان؟ ١٣٩
نافذة صغيرة علىٰ جهنّم ١٤٧
اعضاء الإنسان تشهد يوم القيامة ١٤٩
الشُّهود يوم القيامة ١٥١
مراحل عُمر الإنسان ١٥٥

الأصنام العاجزة والبَشَر الجاهل ١٦١
ما هو سرّ خلق الإنسان؟ ١٦٤
شجرة المُزن وشجرة الزقّوم ١٦٦
اللّه الخالق يحيي العظام وهي رميم ١٦٨
جزئيات الجسم ليست خارجة عن علم اللّه ١٦٩
نموذج من القدرة الإلهيّة ١٧١
المراجع ١٧٨
الفهرس ١٨١